تاريخ مساجد بغداد وآثارها

تأليف

سيد محمود شكري الالوسي

تهذيب

محمد بهجة الاثري

طبع بنفقه

صاحب المعالي امين عالي بك الساسي وزير الاوقاف

مطبعة دار السلام في بغداد

١٣٤٦ هـ

لاستاذنا العلامة السيد محمود شكري الألوسي (١٢٧٣ — ١٣٤٢هـ)
عليه رحمة الله ما ينيف على خمسين مؤلفاً في مختلف الفنون العربية والعلوم
الاسلامية التي تفتقر اليها مكتبتنا العصرية وتسد منها فراغاً كبيراً وقد
اخذت على نفسي منذ بلوغي سن الرشد وانضائي ركاب الطلب في سبيل
العلم [illegible] انضم الى حزب الاصلاح واعمل واؤدي للامة كل
ما يكون في استطاعتي من الخدمة عسى ان يكون لي « شرف العمل »
في رفع قواعد المجد العربي الطريف واحياء العز الاسلامي التالد . فوفقت
— والحمد لله وحده — للقيام بكثير من الاعمال التي لم يوفق لمثلها أترابي
ولداتي ، ونشرت بالطبع طائفة مؤلفات الاستاذ الألوسي مع تهذيبها والتعليق
عليها ككتاب « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » و رسالة
« العقوبات عند عرب الجاهلية » و « تاريخ نجـــد » و « بلوغ الارب
في احوال العرب » ذلك الكتاب الذي حصل به على الجائزة والوسام الذهبي
من جمعية اللغات الشرقية المنعقدة في استكهولم بدعوة اسكار الثاني ملك
اسوج ونروج يومئذ . وما زلت أتحين اوقات الفراغ للنظر فيما ترك من
التراث النافع وانتقاء الانفع والأنفع منه لتقدمه لقراء العربية وعلمائها .

وقد تقدم حضرة صاحب المعالي الشيخ « أمين علي » بك آل باش
أعيان البصري العباسي وزير الاوقاف في الحكومة العراقية حالاً : واراد

أن يكون عوناً لناعلى تحقيق هذه الغاية النبيلة، فاختار من مؤلفات الأستاذ كتاب « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » وهو احد اجزاء كتابه « أخبار بغداد وماجاورها من البلاد » الثلاثة، وأمر بطبعه على نفقته . وهو اختيار حسن بالنسبة الى حاجة الاوقاف -- فضلاً عن حاجة المؤرخ – اليه فكان حقاً علينا ان ننوه بفضله و نشكر له هذه اليد البيضاء على العلم . . .

***

قلنا غير ما مرة ان الأستاذ الألوسي لم يكن من الكتاب الذين يعنون فيفنون بياض الايام وسواد الليالي في التأنق مما يكتبون ، وانه اذا قصد الى التأليف أملى المادة إملاء وارسل الكلام إرسالاً من غير تصنع ، وان كل ما ألفه هو من نفثة القلم الأولى لم يتعهده بالاصلاح والتشذيب شأن الكتاب. تلك هي عادته ليست في تآليفه فحسب بل في اكثر اعماله وحالاته. فقد كان قليل المبالاة حتى بنفسه ومن كان هذا شأنه فهو يكره التصنع في كل شيء ولا يحب شيئاً عليه آثار التصنع . وهذا الكتاب على غرار سائر مؤلفاته ، فلم أر من اللائق ان أنشره دون ان أجيل فيه قلم الاصلاح والتهذيب الذي كان يبسط له حسبما كنت تنسخ مؤلفاته وأتصرف فيها حسبما أرى .

ليس في كتبه – وهو علامة العراق الكبير - سقط أو حشو لاطائل تحته استغفر الله ! ليس فيها شيء من ذلك . بيد أنه كان مرسلاً والمترسل يغلب عليه الاستطراد في كل ما يعترضه لأدنى ملابسة . أنظر أمالي الزجاج واماي القالي وأمالي المرتضى تتجد طريقة المملس والمرسلين . وأغلب النفوس اليوم لا ترغب في هذا النوع من الكتابة بل تميل الى المحض وجزاً غير مسهب ولا متشعب الطرق . فاذا ما قدمت على تهذيب هذا الكتاب فلا أكون قد أتيت بدعاً من الأمر ان شاء الله ا وكل واحد مثلي

هذب واختصر كتاب من لا يلحق له غباراً من فطاحل العلماء وفحول الأبناء !

...

أما طريقتي في تهذيبه فقد رتبته على حروف الهجاء بعد أن أعتزمت أن أرتبه على السنين فوجدت بعض المساجد غفلاً من تاريخ البناء فعدلت عنه الى ذلك ثم أقتصرت في المباحث على ما رأيته ضرورياً، واستبدلت بعض العبارات بغيرها وطرحت اكثر الاستطرادات ولاسيما المنظومات، فان أغلبها جاف لايستمرؤه الذوق والفن، وليس في ابقائه فائدة تجتنى، على أنني آثرت ايضاً إبقاء بعضها لاسباب تاريخية وادبية وأشرت الى مظان بعض ما طرحته. وليس من الصعب على القارئ او الباحث ان يراجع مثلاً ديوان عبدالباقي العمري أو عبدالغفار الاخرس ومن هو دون طبقتهما من شعراء القرن الغابر الذين لم يخلقوا الا مادحين طوراً ونادبين طوراً . وأية فائدة لنا من الابقاء على قصيدة مسهبة في مدح زيد وعبيد والاشادة بمآثر القصور والكتاب يقصد فيه الى غير هذا . . . ؟

وقد فات الاستاذ ذكر بعض المساجد ولكنها ليست بذات بال. فانها ان لم تكن أفاحيص قطا فهي أمكاء ضباب ، ويجوز ان يكون قداغفلها عمداً على أنني كنت أحب ان استدركها واضيفها الى الكتاب غير أني الآن مخلد الى الراحة في مصطافي الجميل على شاطئ دجلة شمالي « الأعظمية » ولولا ما أخذته على نفسي من العهد ، ولولا وفاء حق الاستاذ رحمه الله علي ما حركت بناناً ولا احريت قلماً فضلاً عن الاصلاح والتهذيب والتعديل والقيام بشؤون الطبع ، وعلى الله قصد السبيل ٢٩ المحرم ١٣٤٦ هـ

محمد بهجة الأثري

مقـــدمة

بقلم المهذب

قبل أن أدفع مسودة الكتاب للطبع بيومين اقترح صديق فاضل أن أقدم بين يدى الكتاب بحثاً في معنى المسجد والجامع والمنارة والمنبر وأسباب تعدد هذه المساجد التي نراها فى المحلة الواحدة ، فترددت فى ذلك لانصرافى عن الاعمال فى هذه الايام الشديدة الحر . ثم رأيت ان فى ذلك فوائد للمطالعين لا بأس أن أشغل نفسي بها يوما أو بعض يوم ، فانشأت هذه المقدمة مجلاً ، وذهبت بها الى أبعد مما اقترح كما سترى ، ولولا ضيق الوقت لكانت أمتع بحثاً وأغزر مادة .

١ المسجد والجامع

أما المسجد فهو بكسر الجيم الموضع الذى يسجد فيه . وقال الزجاج « كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً . وقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه » ؟

وقد كان حكمه ان لا يجئ على مفعل لان حق اسم المكان والمصدر من الباب الاول أن يجيء على مفعل بفتح العين . ولكنه أحد الحروف التي شذت فجاءت على مفعل ، وهي : مسجد ومطلع ومشرق ومسقط ومفرق ومجزر ومسكن ومرفق ومنبت ومنسك . وروي مسكن ومسجد ومطلع بالفتح على القياس ويجوز فى الباقي أيضاً وان لم يسمع الا الكسر .

واما الجامع فهو يكون نعتاً لله حد وانما نعت بذلك لأنه علامة

للاجتماع ولم يكن الصدر الاول يردون كلمة (الجامع) في الاطلاق . وانما كانوا تارة يقتصرون على كلمة (المسجد) وتارة يصفونها فيقولون (المسجد الجامع) وطوراً يضيفونها الى الصفة فيقولون (مسجد الجامع) . ثم تجوز الناس بعد واقتصروا على الصفة فقالوا للمسجد الكبير وللذي تصلى فيه الجمعة وان كان صغيراً (الجامع) لأنه يجمع الناس لوقت معلوم ، هذا ماخطر لي في تعليل هذا الاصطلاح الذي واضعوا عليه وجرى عليه الاستاذ المؤلف في هذا الكتاب .

٢ – متى تأسست المساجد

المشهور أن اول مسجد بني في الاسلام هو مسجد قبا[1] الذي يقال له مسجد التقوى ايضاً لقوله تعالى فيه (لمسجد أسس على التقوى من اول يوم) قال المحدثون وأصحاب السير والمؤرخون : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من مكة كان وصوله الى (قبا) في ظاهر المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الاول الموافق (٢٤ سبتمبر ٦٢٢ م) وقيل لثمان خلون ، وقيل غير ذلك (وقد أورد هذه الاختلافات السمهودي في كتابه وفاء الوفا) ونزل على كلثوم بن الهدم وكان له هنا مربد « وهو موضع يبسط فيه التمر لييبس » فاخذه منه وبنى مسجداً .

وروى ابو سعيد الخدري أن النبي (ص) سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدي . وهذا لا يعارض الاول اذ كل منهما أسس على التقوى غير أن قوله سبحانه (من اول يوم) يقتضي مسجد قبا لأن تأسيسه كان من اول يوم حلول الرسول « ص » دار هجرته .

قال السهيلي في روض الانف (ج ٢ ص ١١) « وفي قوله سبحانه

(١) يمد ويقصر

عثرنا بعد الفراغ من طبع الكتاب على غلطات مطبعية وجب التنبيه اليها فنرجو ممن يقتني الكتاب ان يصححها كما يلي :

في (ص ١) طائفة مؤلفات . الصواب : طائفة من مؤلفات وفي ص ٢٢ س ١٠ وفي السنة السابعة والاربعين بعد المائتين والألف ، والصواب : وفي السنة السابعة والاربعين بعد الالف . وفي ص ٢٤ س ٦ وما كانت . والصواب : وما كان

الزخار) « ان رئيس الحرمين لم يكن برأى ذي حل ولا عقد ولا سكوت

من أول يوم — وقد علم أنه ليس أول الايام كلها ولا أضافها الى شيء في اللفظ الظاهر — فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ فاتفق رأيهم أن يكون عام الهجرة لأنه الوقت الذى عز فيه الاسلام والذى أمر فيه النبي «ص» وأسس المساجد وعبد الله آمناً كما يجب فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه « من أول يوم » أن ذلك اليوم هو أول يوم التأريخ الذى يؤرخ به الآن . الخ » وقد لخصه عنه ياقوت الحموى في معجم البلدان وم يذكر اسمه . ثم ذكر السهيلي أن بعض النحاة يذهب الى ان في قوله سبحانه من أول يوم مضافاً تقديره تأسيس اول يوم ، فرده ولم يرتضه وحسن رأيه ياقوت .

وقد ألف صديقنا الفاضل حسن وفقي بك آل القاضي الدمشقي كتاباً في التقويم الشمسى الهجري اسمه (تقويم المنهاج القويم) وطبع في المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٥ ﻫ . وهو يرى ان تكون بداية الشهر الاول من هذه السنة الشمسية الهجرية يوم تأسيس مسجد قبا لفوائد عدة ذكرها ، ولكني لا أرى ذلك يتم له لأن اليوم الذي قدم فيه الرسول الى قبا مختلف في تعيينه كما قدمنا .

٣ — تاريخ زخرفة المساجد

اكثر الأخبار على ان الاسلام ينهى عن زخرفة المساجد وتزيينها، لأنه ليس المقصود من بنائها الا ان تمكن الناس من الحر والبرد . وتزيينها - على تعليل الفقهاء — يشغل القلوب عن الاقبال على الطاعة فيذهب الخشوع الذى هو روح جسم العبادة . ويقول صاحب (فتح العلام لشرح بلوغ المرام) والقول بأنه يجوز تزيين المساجد باطل . ونقل عن (البحر الزخار) « ان تزيين الحرمين لم يكن برأى ذى حل ولا عقد ولا سكوت

رضا أي من العلماء وانما فعله أهل الدول الجبابرة من غير مؤاذنة لأحد من اهل الفضل وسكت المسلمون والعلماء من غير رضا » .

ويقول الفقهاء إنه لا يجوز صرف الموقوف على زخرفة مسجد بالذهب وبالاصباغ لأنه منهي عنه وليس ببناء بل لو شرط لما صح لأنه ليس قربة ولا داخلا فى قسم المباح ، كما فى (الاقناع) .

وقد بنى رسول الله « ص » مسجده باللبن والجريد وخشب النخل ، ولما زاد فيه الخليفة الثاني بناه على بنائه الاول باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً وقال « أكن الناس من المطر وإياك ان تحمر او تصفر » رواه البخاري .

حتى اذا آل الامر الى عثمان زاد فيه زيادة كبيرة و بنى جدرانه بالاحجار المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج وقيل بل حسنه بما لا يقتضي الزخرفة ومع ذلك انكر بعض الصحابة عليه .

ويقول صاحب فتح العلام ان أول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك وذلك فى آخر عصر الصحابة وسكت كثير من أهل العلم عن ذلك خوفا من الفتنة .

وينقضه ما جاء فى خطط المقريزى ج ٤ ص ٧ نقلاً عن كتاب أخبار مسجد أهل الراية قال : لما ضاق المسجد العتيق فى فسطاط مصر باهله شكي ذلك الى مسلمة بن مخلد وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان فكتب اليه يستأذنه . فامره معاوية بالزيادة . فزاد فيه من شرقيه مما يلي دار عمرو بن العاص، وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثاً من القبلي ولا من الغربي . وذلك سنة ثلاث وخمسين ، وجعل له رحبة فى البحري منه كان الناس يصيفون فيها ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه . قال الكندي : ولم يكن المسجد الذى لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف .

٤ — تاريخ بناء
المنابر والمنائر والمحاريب والمقاصير

— ١ —

المنبر بكسر الميم مرقاة الخاطب ، من نبر الشيء اذا رفعه ، وسمي بذلك لعلوه وارتفاعه . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر يخطب الى جذع ، فقيل له : يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً . وفي مسند الدارمي من حديث بريدة : « كان النبي (ص) اذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه فأتي بجذع نخلة فحفر له واقيم الى جنبه قائماً للنبي (ص) ، فكان اذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكأ عليه ، فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً الى جنب ذلك الجذع فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه فان شاء جلس ماشاء وان شاء قام . فبلغ ذلك النبي (ص) فقال : ائتوني به فأتوه به فأمر أن يصنع له هذه المراقي الثلاث أو الأربع هي الآن في مسجد المدينة فوجد النبي (ص) في ذلك راحة ... » .

وقال صاحب فتح العلام وغيره : وكان عمل هذا المنبر سنة سبع وقيل سنة ثمان عمله له غلام امرأة من الأنصار كان نجاراً ، واسمه على أصح الأقوال ميمون ، وكان على ثلاث درج . ولم يزل عليه حتى زاده مروان في زمن معاوية ست درجات[1] من أسفله ، ولم يزل كذلك حتى احترق المسجد النبوي سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق . كذا في وفاء الوفاء والفتح[2] .

وقد ذكر المقريزي في الخطط[3] : « ان في سنة ١٦١ أمر المهدي

---

(١) فتح العلام ج ١ ص ١٩٧ وابن الاثير ج ٣ ص ١٩٩ (٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ١٨٧ وفتح العلام ج ١ ص ١٩٧ . (٣) ج ٤ ص ٦ و ٧ .

محمد بن أبي جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبي (ص) » .
ثم شاع اتخاذ المنابر في مساجد الأمصار.

ويقول العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في اصلاح المساجد (ص ٦٧) : « ان بعض المؤرخين ذكر في حوادث سنة ١٣١ أن أول من اتخذ منابر في الجوامع عبد الملك بن مروان أمير مصر من قبل الخليفة مروان بن محمد وكان آخر وال على مصر من قبل الأمويين[1] قالوا : ولم يكن قبل ذلك منبر ، وكانت ولاة مصر تخطب على العصي الى جانب القبلة » .

— ب —

والمنارة بالفتح من الانارة وهي الاشتعال حتى تضيء ومنه سميت منارة السراج[2] ، وتسمى مئذنة ، وتجمع على مناور على القياس وعلى منائر على غير قياس . قال ثعلب : انما ذلك لأن العرب تشبه الحرف بالحرف فشبهوا منارة وهي مفعلة من النور بفتح الميم بفعالة فكسروها تكسيرها كما قالوا أمكنة فيمن جعل مكاناً من الكون فعامل الحرف الزائد معاملة الأصلي فصارت الميم عندهم كالقاف من قذال ومثله في كلام العرب كثير . قال : وأما سيبويه فحمل ماهو من هذا على الغلط . وقال الجوهري : الجمع مناور بالواو لأنه من النور ومن قال منائر وهمز فقد شبه الأصلي بالزائد كما قالوا مصائب وأصله مصاوب[3] .

والمنائر لم تكن على عهد رسول الله (ص) وانما كانوا يؤذنون على ظهر المسجد . قال ابن سعد بالسند الى ام زيد بن ثابت : « كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن الى أن بنى

---

(١) المعروف ان آخر ولاة مروان بن محمد على مصر « المغيرة بن عبيد الله » .

(٢) معجم البلدان . (٣) تاج العروس مادة (ن و ر) .

رسول الله (ص) مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شيء على ظهره[1] » . وأول من بنى المنائر في الاسلام مسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر من قبل معاوية بأمر معاوية ، كما ان أول من رقى منارة مصر للأذان هو شرحبيل بن عامر المرادي[2] . ويلوح لي أن مسلمة رأى منارة الاسكندرية[3] الشهيرة فبنى على مثالها .

ومنذ ذلك الحين انتشر بناء المنائر في الأمصار ، ولما تولى عمر بن عبد العزيز جعل لمسجد رسول الله (ص) حين بناه أربع منارات في كل زاوية منارة[4] . ويقول أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل[5] : ان خالد بن عبد الله القسري بلغه شعر لرجل من الموالي موالي الأنصار يقول فيه :

ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فهدم منار المساجد حتى حطها عن دور الناس ، فهجاه الفرزدق وقال :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كانت امه * تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

وقال :

عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا

بنى بيعة فيها الصليب لامه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا[6]

والحق ان خالداً لم يهدم المنائر الا لمصلحة ارتآها ...

(۱) اوائل السيوطي . (۲) خطط المقريزي ج ٤ ص ٤٤ واوائل السيوطي (۳) وصفها ياقوت في معجم البلدان ج ۱ ص ٢٤٢ . (٤) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۷۳ . (٥) ج ۲ ص ۸۹ طبعة التقدم بمصر (٦) لم يهدم خالد المساجد وانما هدم المنائر .

والمحراب مقام الامام من المسجد . قال ابن الانباري : « سمي لانفراد الامام فيه وبعده من القوم ومنه يقال فلان حرب لفلان اذا كان بينهما بعد وتباغض » . وفى المصباح : « ويقال محراب المصلى مأخوذ من المحاربة لأن المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه باحضار قلبه » . ولعل التعليل الأول أولى بالاعتبار .

واول من اتخذ المحراب عمر بن عبد العزيز . قال الشريف السمهودي : « ان المسجد الشريف لم يكن له محراب فى عهده صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد خلفائه بعده ، واول من اتخذه عمر بن عبد العزيز فى عمارة الوليد[1] » . واذا قيل محراب النبي فالمراد به مكان مصلاه .

واسند يحيي عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه قال : « مات عثمان وليس في المسجد شرفات ولا محراب فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز » .

وعن القاسم وسالم انهما نظرا الى شرفات المسجد فقالا انها من زينة المسجد .

قال السمهودي : « واسند ايضاً من طريق ابن زبالة ورأيته فيه ان عمر بن عبد العزيز هو الذي عمل الرصاص على طنف المسجد والميازيب التي من الرصاص فلم يبق من الميازيب التي عمل عمر بن عبد العزيز غير ميزابين أحدهما فى موضع الجنائز والآخر على الباب الذي يدخل منه أهل السوق الذي يقال له باب عاتكة ، ولم يكن للمسجد شرفات حتى عملها عبد الواحد بن عبد الله النصري وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة » .

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٦٤

قال : فهذا يقتضي ان عمر بن عبد العزيز لم يحدث الشرفات فى زيادة الوليد بل ولا فى زمن خلافته بعده ، لأن وفاته كانت فى رجب سنة احدى ومائة [1].

— د —

والمقصورة « الدار الواسعة المحصنة أو هي أصغر من الدار كالقصارة بالضم ولا يدخلها الا صاحبها [2] » وتجمع على مقاصير ومقاصر وانشدوا :

(ومن دون ليلى * مصمتات المقاصر [3])

ذكر عمر بن أبي شبة فى تاريخ المدينة : « ان اول من عمل مقصورة فى المسجد بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام ، وان عمر بن عبد العزيز عملها بالساج [4] » . وقال ابن زبالة : قال مالك بن أنس لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان مقصورة من ابن فقام يصلي فيها للناس خوفاً من الذي اصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت صغيرة وروى يحيى هذا كله فى زيادة عثمان (رض) ثم روى فى زيادة الوليد عن عبد الحكيم بن عبد الله بن حنطب قال : أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم بناها بالحجارة المنقوشة وجعل لها كوى وكان بعث ساعياً الى تهامة فظلم رجلاً يقال له دب فجاء دب الى مروان فقام حيث يريد ان يقوم مروان حتى اراد ان يكبر ضربه بسكين ، فلم يصنع شيئاً ، فأخذه مروان فقال : ما حملك على ماصنعت ؟ قال : بعثت عاملاً فأخذ ذودي بمرة وتركني وعيالي لانجد شيئاً فقلت أذهب الى

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٧٢ . (٢) القاموس . (٣) تاج العروس .
(٤) خطط المقريزي ج ٤ ص ٧

الذي بعثك فاقتله ، فهو أصل هذا فجاء ما ترى ! فحبسه مروان حيناً في السجن ثم أمر به فاغتيل سراً ، فكانت المقصورة .

وفي شرح مسلم للنووي : « ان أول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي »[1] .

قال العلامة القاسمي : « ... وكان في الجامع الأموي بدمشق مقصورة كبرى حول منبره ومحرابه الى ركني القبة ازيلت في حدود سنة ١٢٨٠ هـ بأمر والي دمشق وقتئذ ، وكان احداث هذه المقصورة بأمر معاوية ثم زاد فيها سنة ٤٣ لما وثب عليه البرك[2] لقتله . وفي سنة ٤٣ أيضاً أحدث مروان في المسجد النبوي مقصورة وهو وال عليها[3] »

٥ — كثرة المساجد في المحلة الواحدة وتعدد الجمع

احدثت في الايام الاخيرة ببغداد مساجد كثيرة لايعلم العلة في احداثها الا عالم السرائر والراسخون في العلم . فالداخل اليها من الباب الغربي في الرصافة أول مايقع نظره عليه من اليمين مسجد يدعى جامع الازبك ثم لايمشي الا قليلاً حتى يرى عن شماله تكية ثم مسجداً ضخماً ثم آخر صغيراً ثم آخر عظيماً ، فاذا أخذ يمنةً ماراً من أمام القلعة قاصداً دار الحكومة رأى أمام دائرة البريد ثلاثة مساجد بعضها الى جنب بعض ثم لايكاد يمشي خطوات حتى يقع نظره على مسجد عظيم أمام السراي القديم وهلم جرا ، وفي اكثر هذه المساجد تقام الجمع غير انك لا تكاد تجد فيها من المصلين الا افراداً هنا وهناك يمثلون بتجزئتهم انفكاك الامة وتخاذلها في هذا العصر وواأسفاه ، وكان الواجب

---

(١) وفاء الوفا ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ . (٢) قال الزبيدي : البرك بن عبدالله هو الذي ضرب معاوية ففلق اليته ليلة مقتل علي رضي الله عنه . (٣) اصلاح المساجد ص ١١٢

على اولي الامر ان يراعوا حكمة التشريع ولا يغفلوا عن مقاصد الاسلام من وجوب اقامة الجمعة فى محل واحد فيلغوا الجمع من المساجد ويعينوا مكاناً معيناً يجمع المصلين فيمثلون بذلك القوة ووحدة الكلمة .

قال ابن المنذر وغيره « لم يختلف الناس ان الجمعة لم تكن تصلى في عهد النبي (ص) وفى عهد الخلفاء الراشدين الا في مسجد النبي قال وفي تعطيل الناس مساجدهم يوم الجمعة واجتماعهم فى مسجد واحد أبين البيان بأن الجمعة خلاف سائر الصلوات وانها لاتصلى الا فى مكان واحد » .

وذكر الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد « ان اول جمعة احدثت في الاسلام فى بلد مع قيام الجمعة القديمة فى أيام المعتضد في دار الخلافة من غير بناء مسجد لاقامة الجمعة . قال : وسبب ذلك خشية الخلفاء على انفسهم في المسجد العام وذلك سنة ٢٨٠ هـ ثم بني فى أيام المكتفي مسجد فجمعوا فيه »

وقال السبكي : « ان دمشق من فتوح عمر الى اليوم وهو شهر رمضان سنة ٧٥٦ لم يكن في داخل سورها الا جمعة واحدة » .

و بعد فقد عرف شيوخنا أقوال العلماء وعلموا الغاية من اقامة الجمعة فى محل واحد . فهل يتفقون معنا و يطلبون الى اولي الأمر الغاء تعدد الجمع فيقومون بواجب متحتم عليهم ويزيلون هذه المفسدة ، أم يأبون الا ان يتقاضوا دراهم على العبادة يملأون بها بطونهم ؟

ورب معترض يقول انك فيما تدعو اليه انما تكلف الناس ما لاطاقة لهم به وتضييق عليهم ما وسعته الشريعة السمحة لان الامصار فى الصدر الاول ولاسيما مدينة النبي (ص) لم تكن فى السعة و فى عديد السكان كما هي اليوم ؟

و اقول : ان مسجد النبي (ص) كان على نسبة المجمعين فلما كثر عددهم أيام الخليفة الثاني وضاق بهم وسعه ، ثم لما ازدادوا فى عهد الخليفة

الثالث وسعه ايضاًولم يبن غيره . ولا تزال الجمعة في بلاد الحجاز تقام في محل واحد من كل بلد . على انني اقول ان سماحة الاسلام لاتأبى تعددها على نسبة الحاجة بحيث يبقى معها هيكل التجميع يمثل القوة والاتحاد أعظم تمثيل ولكنني لا ارى بغداد بجانبيها تشتد بها الحاجة اليوم الى اكثر من بضعة اماكن تقام فيها الجمعة وان هذا من ذلك الافراط الذي خرجت به الجمعة عن موضوعها ، ولم يبق لها معه أقل خطر[1] ؟

٦ — تاريخ تأسيس المدارس في الاسلام

كان العلم في الصدر الاول يبث بكل مكان من مسجد او منزل ، او سفر او حضر ، حتى في الاسواق[2] . ولم يخصص له مكان بعينه ينتابه الناس ، والمدارس انما حدثت بعد الاربعمائة من سني الهجرة .

قال المقريزي في الخطط « واول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور[3] فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها ايضاً الامير نصر ابن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخوه السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها ايضاً المدرسة السعيدية وبني بها ايضاً مدرسة رابعة[4] »

وذكر القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان: ان اول من انشأ المدارس

---

(١) دعت الحاجة فخرجت عن الغرض الذي كتبت له هـــذه المقالة بعض الخروج ، وصرخت هذه الصرخة عسى ان تبلغ الاسماع . . . !

(٢) كتاب الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ٢٧٢ . (٣) فتحها المسلمون في ايام عثمان (رض) بقيادة عبدالله بن عامر بن كريز سنة ٣١ هـ صلحاً وبنى بها جامعاً. وقيل انها فتحت في ايام عمر (رض) على يد الاحنف بن قيس وانما انتقضت في ايام عثمان فأرسل اليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية ، ونيسابور من اشهر حواضر الاسلام في التاريخ ونبغ منها من ائمة العلم من لا يحصى . واخبارها في معجم البلدان

(٤) الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

فاقتدى الناس به هو أبو علي الحسن بن علي الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي[١] وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي[٢] وانه شرع في عمارة مدرسته « المدرسة النظامية » ببغداد في ذي الحجة من سنة ٤٥٧ ﻫ وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة ٥٩ ، وكان أمر أن يكون المدرس بها أبا اسحاق الشيرازي[٣] وقرروا معه الحضور في هذا اليوم للتدريس ، فاجتمع الناس ولم يحضر ، وطلب فلم يوجد ، فنفذ الى أبي نصر عبدالسيد المعروف بابن الصباغ[٤] الشافعي (وكان فقيه العراقيين في وقته يضاهي أبا اسحاق وتقدم عليه في معرفة المذهب) فأحضر ورتب بها مدرساً ، وظهر أبو اسحاق في مسجده ففتر أصحابه عن درسه وراسلوه إن لم يدرس بها مضوا الى ابن الصباغ وتركوه ، فأجاب الى ذلك ، وعزل ابن الصباغ بعد ان درس عشرين يوما[٥]

وقد اقتدى الناس كما قدمنا بنظام الملك من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر . وأما مصر فأول ماعرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الأزهر ، ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلس بمجلس يحضره الفقهاء وكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم ، وعمل ايضاً مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقرآءة كتاب الوزير ، ثم بنى الحاكم بأمر الله أبوعلي منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة . فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الامام الشافعي

(١) ترجمته في وفيات الاعيان ج ١ ص ١٤٣ . (٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٤ . (٣) ترجمته في الوفيات ج ١ ص ٤ . (٤) ترجمته في الوفيات ج ١ ص ٣٠٣ (٥) لوفيات ج ١ ص ٤ و ٥ و ٣٠٤ .

ومذهب الإمام مالك ، واقتدى بالملك العادل محمود بن زنكي، فأنه بنى بدمشق وحلب واعمالها عدة مدارس للشافعية والحنفية ؛ وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر . ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين فى بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرها من اعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه ، ثم حذا حذوهم ملوك التتر وامراؤهم واتباعهم[1] ، وقد عني المقريزي بتدوين تاريخ المدارس وأخبارها بمصر فى كتابه الخطط ، وليت بعض المتفرغين لهذه الشؤون يعنون بتدوين تاريخ للمدارس التي انشئت في بلاد الاسلام منذ يوم تأسيسها الى يومنا هذا .

٧ — التكايا والزوايا

التكايا والزوايا أو الخوانق والربط : انشئت فى حدود الاربعمائة من سني الهجرة للصوفية يقيمون بها أورادهم واذكارهم وكل ما اصطلحوا عليه من الاوضاع والرسوم ، ويقتلون فيها أوقاتهم لايبرحونها للكسب والسعي فى الارض وانما يكتفون بما يتصدق الناس به عليهم .

ويزعم بعض الفقهاء والمؤلفين كالمقريزي أن للربط والزوايا أصلا فى الشريعة وهو أن رسول الله (ص) اتخذ لفقرآء الصحابة الذين لايأوون الى اهل ولا مال مكاناً من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة .

وهذا الزعم من الغفلة عن العلم الصحيح بمكان ، والامام أبي اسحاق الشاطبي بحث نفيس في نقضه بسطه في كتابه الاعتصام[2] ، فلا نشغل نفسنا بما فرغ منه غيرنا ...

---

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ .

(٢) ج ١ ص ٢٦٥ الى ٢٧٢ .

وقد قضت بعض الدول فى هذه الايام على التكايا والزوايا ، وليت سائر الحكومات الاسلامية تقتدي بها فتزيل البقية الباقية من بلادها ، وتبعث الناس على السعي والعمل وطلب المعاش ، فقد كفانا ما حل بنا من ورائها ووراء سائر البدع التي كادت تقضي على الاسلام لولا كتاب الله وسنة رسوله (ص) بين أظهرنا ، وكفى المسلمين بعد اليوم حياة الخنوع والذلة والمسكنة ، وآن لهم ان يستيقظوا ، وآن « لشيوخنا » ان ينتبهوا وينظروا حواليهم ويتلمسوا العلل التي سدكت بجسم المجتمع الاسلامي حتى نهكته وتركته على فراش الاحتضار ، أليس هذا قد اصبح فرضاً على كل مسلم عاقل لايقل فى هذا اليوم الأيوم عن سائر الفروض ؟.... أليس هذا أحق بالعناية من الاشتغال بما لاطائل تحته حرصاً على موروثات الآباء البالية ؟

∴

وبعد فأحسبني قد بلغت الغرض الذي قصدت اليه فى وضعي هذه المقدمة ، وكنت اتمنى لو يتسع لي الوقت فأشرح كثيراً من الامور المهمة التي تتعلق بالمساجد والمشاهد والزوايا والتكايا ، وانبه الى ما تجب ازالته او اصلاحه من شؤونها . فان الانتباه الى ذلك اصبح ضرورياً ، ومازلت اعتقد واصرح بأن العلة الكبرى فى انحطاط المسلمين هى انغماسهم فى البدع وعدم فهمهم معنى الدين والعبادة على الوجه الصحيح ، وهذه التكايا والزوايا والقبور .

١ - مساجد الجانب الشرقي وآثاره (*)

الجوامع — المساجد — المدارس — التكايا والزوايا — السقايات

أ — الجوامع

جامع الامام ابي حنيفة

لما كانت قصبة الامام أبي حنيفة رحمه الله بمنزلة الفناء لهـذا الجانب رأينا ان نبدأ بوصف جامعها . هو جامع رحب الفناء ، واسع المصلى ، مشيد الاركان ، محكم القواعد ، على مصلاه قبة عظيمة قائمة على سوار من رخام ، وحوله رواقان في الجهة الشرقية والشمالية ومشهد أبي حنيفة متصل بهذا المسجد له باب من الرواق الشرقي وباب من المصلى في جهة القبلة عن يسار المستقبل لما بين المحراب و بين هذا الباب خطوات الماشي نحو جهة الشرق وأرض المشهد منخفضة عن ارض المصلى[1] والمرقد في وسطه ، وعليه صندوق خشب فيه شبابيك فضة ، وهو مسجى بستار نقش عليه بعض الآيات القرآنية و فوقه معلقات وقناديل ذهبية ، والقبة التي عليه مبنيـة بالحجر الكاشاني الملون . وقد كانت المحلة التي فيها هـذا القبر احدى محلة بغداد في العصر العباسي وكانت مسورة بسور محكم و كان فيها كثير من الحمامات والمساجد والقصور ، وكانت مقبرتها تسمى مقبرة الخيزران ، وقد دفن فيها كثير من اكابر اهل العلم والصالحين كمحمد ابن اسحاق الطبري وغيره . وتوفي الامام ابو حنيفة[2] سنة ١٥٠ هـ

(*) تنبيه : التعليقات كتبها المهذب

(١) هي اليوم موازية لارض المصلى . (٢) ترجمته في الوفيات ج ٢ ص١٦٣ .

دفن في هذه المقبرة . وفي سنة ٤٥٩ ه بنى شرف الملك أبو سعد [١] محمد ابن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي مشهداً وقبة على قبره ، و بنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية . و لما فرغ من عمارتها ركب اليها في جماعة من الاعيان ليشاهدوها ، فبينما هم هناك اذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي [٢] الشاعر فأنشده قوله :

ألم تر ان العلم كان مشتتاً — فجمعه هذا المغيب في اللحد ؟
كذلك كانت هذه الارض ميتة — فانشرها فعل العميد أبي سعد

فأجازه أبو سعد جائزة سنية [٣] .

قال ابن الأثير في (الكامل) في حوادث سنة ٤٥٩ [٤] ه « وفي صفر منها دخل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفي ، وبنى على مشهد أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه مدرسة لاصحابه ، وكتب الشريف أبو جعفر ابن البياضي على القبة التي أحدثها أبو سعد [٥] البيتين السابقين »

(١) قال ابن الأثير في تاريخه ج ١٠ ص ١٢١ : كان ابو سعد مستوفياً في ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة الف دينار حتى ترك الاستيفاء ، و بنى مشهداً على قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه . ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو جميعها للحنفيين .

(٢) ترجمته في الوفيات ج ٢ ص ٩٢ (٣) الوفيات ج ٢ ص ١٠٦

(٤) ج ١٠ ص ٢٠ ط بولاق . (٥) تنبيه : بناء المشاهد ورفع القباب وتزويق القبور وايقاد السرج عليها كل ذلك منهي عنه في الشريعة اشد النهي باجماع المحققين من فقهاء السادة الحنفية وغيرهم ولم يكن شيء من ذلك في الصدر الاول قط وقد ضاعت قبور اكثر الصحابة والتابعين ولم يحفلوا بها كما احتفل الساسة في الآخرين بقبور بعض الصالحين لأغراض لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم . وليت المقام يسع شرحها . ومن أراد الوقوف على هذا المبحث بدلائله التفصيلية فليرجع الى مؤلفات الامامين المجددين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والى كتب الحديث والفقه . وتعجبني مقالة للعلامة رفيق العظم في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) بعنوان

وأبو سعد هذا كان كثير الخيرات وانقطع آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه في الامور . وتوفي في المحرم سنة ٤٦٤ هـ باصبهان

وبعد وفاته اتخذت تلك المدرسة مسجداً تقام فيه الجمعة والاعياد وسائر الجماعات .

وبعد هذا العصر لم يزل من تولى هذا القطر من الملوك والامراء يتعهدون هذا المسجد بالعمارة والجرايات ولاسيما سلاطين آل عثمان . وفي السنة السابعة والاربعين بعد المائتين والألف جاء السلطان مراد الرابع الى بغداد لطرد الفرس المتغلبين يومئذ عليها ، فنصره الله تعالى عليهم وردهم على اعقابهم فانقلبوا صاغرين وولوا خاسرين ، فجدد حينئذ مباني هذا المسجد والمشهد — وكان الفرس قد أعملوا فيهما معاول التخريب ! — وأصلح ما كان من الخلل وشيد أبنية غير ذلك على أحسن وضع ، واذن باقامة الجمعة والاعياد وسائر الصلوات فيه ، وصلى تبركاً عدة أوقات وقرأ مع من حضر ختمات اهدى ثوابها الى الامام وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً . ثم وقف[1] على المسجد أوقافاً طائلة ، ووظف المشاهرات الوافرة للائمة والمدرسين ، وأجرى الجرايات على الطلبة والمجاورين والخدام والفراشين والمؤذنين والقائمين بشؤون المسجد وما زال الامر على ذلك . وفي سنة ١٢١٧ هـ أحتل من المسجد بعض المباني فتداركه والي بغداد يومئذ سليمان باشا ، وزوّق المئذنة التي هي قائمة الى اليوم وحلى رأسها بالذهب

لا كلمة في القبور » ج ٣ ص ٥٢ فراجعها ، ولله در شاعر الاسلام احمد شوقي المصري حيث يقول :

لا يعجبنك ما ترى من نعمة ضربوا على مولاتها يتصرف
هدموا على حق الناس باطل وعلى ... قصد الاسراف

(١) وقف الثلاثي أفصح من أوقف الرباعي

وفي سنة ١٢٥٥ هـ أمر السلطان عبدالمجيد باصلاح ما يلزم اصلاحه فيه وتزيين المشهد والمرقد وارسل قطعة من الستر النبوي ليسجى بها القبر. فلما وصلت بغداد استقبلت استقبالاً فخماً ، وانشدت في ذلك قصائد عدة منها قصيدة لعبد الباقي العمري تجدها في ديوانه (ص٢١٣) ومطلعها :

يا من علا في الاجتهاد مناره * وبدر مذهبه غلا مقداره

وفي سنة ١٢٨٨ هـ تداعت ارجاؤه ، فأمرت والدة السلطان عبدالعزيز بتجديده وتوسيعه فهدم عند ذلك ما كان من الابنية من قبل الا القبة والمئذنة ، وبني على احسن وضع والطفه واتقنه ، وعقدت قبة مصلاه على عمد من الرخام الأبيض ، واحدث في جهتين من المصلى رواق واسع معقود على سوار من الرخام كما وسع فناء المسجد وسعة شابهت فضاء الصحراء [١]

وانشئت مدرسة [٢] عن يمين المصلى ذات طبقتين رتب لها مدرسان مدرسان العلوم العقلية والنقلية .

وبنيت حجر كثيرة [٣] متصلة بسور المسجد اعدت للطلبة وللفقراء

(١) تم هذا البناء سنة ١٢٩٣ هـ مع جلوس السلطان عبد الحميد الثاني ، وقد كتبت في جبهة جدار الرواقين من جهة الشمال الى الشرق سورة الفتح ، وذيلت بهذه الجملة « تجدد انشائها (كذا) في زمن خلافة امير المؤمنين وحامي الدين المبين كثير الخيرات والمبرات السلطان بن السلطان والخاقان بن الخاقان السلطان عبدالحميد الثاني أدامه الله تعالى مدى الاوان وكان ذلك في الالف وثلثمائة واحدى وعشرون (كذا) من الهجرة النبوية » . وهذا وهم ان تجديد البناء كان في عهد عبدالحميد ، وانما هو تاريخ بتجديد هذه الكتابة كما اكد ذلك كثيرون من اهل الاعظميه ، ويؤيده ماسيذكره الاستاذ المؤلف رحمه الله قريباً .

(٢) جعلتها وزارة الاوقاف اليوم مدرسة ابتدائية للصغار الناشئين .

(٣) امله يعني بها غرف الجهة الجنوبية التي انشئ فوقها في عهد جمال بك سنه ١٣٢١ هـ طابق علوي لتكون كليه تدرس فيها العلوم الاسلامية والفنون الحديثة.

المجاورين ، واجريت لهم جرايات ومبلغ وافر لاطعام الطعام .

ولما تمت العمارة أنشد السيد عبد الغفار الأخرس أبياتاً مؤرخاً ومنها :

لله والدة المليك وما بنت * من جامع رحب الفناء متمم

اذ غيرته وقدرته بحكمة * وكذا يراد من البناء المحكم

اخذت بتوسعة له واعانها * نظر «الرديف» وخدمة المستخدم

قد عمرته وشيدته وجددت * تاريخ « مسجد للامام الاعظم »؟

ورسمت بالحجر الكاشاني على صدر الباب الشمالي ابيات من نظم الشيخ طه الشواف وهى قوله :

وكان الفضل في ذلك لجماعة من مستنيري الاعظمية نهضوا فانشأوا في ٢٠ شعبان ١٣٢٨ هـ مجلة اسمها (تنوير الافكار) وطالبوا الحكومة بالاصلاح الموافق لروح العصر وباحياء مدرسة أبي حنيفة . فأيدهم الوالي ناظم باشا ، ثم كتبوا كتاباً عن لسان أبي حنيفة (نشر في ج ١ ص ٢٤٣ من تنوير الافكار) وجهوه الى مندوبي الدولة ، ولاسيما مندوبي العراق ، فنهضوا وفي مقدمتهم مندوبا العراق العالمان الجليلان أستاذنا السيد علي علاء الدين الالوسي ، والسيد مصطفى الواعظ ، ورفعا الكتاب الى السلطان محمد رشاد وقرآه له فبكى وصدرت ارادته بتخصيص مبلغ كاف لهذه المدرسة وأبلغ عدد الطلاب الى المائة ، فبني الطابق العلوي في الجهة الجنوبية وفتحت ابواب المدرسة للطلاب حتى زوال دولة بني عثمان من العراق . فاعيدت بعد ذلك وجعل فيها قسمان ليلي ونهاري ورتب للطالب الليلى « اطعام الطعام » وراتب يختلف باختلاف الصفوف من خمس روبيات الى ست عشرة روبية ، وللطالب لنهاري راتب من ست عشرة روبية الى ست وثلاثين ، وقد نقص ذلك في هذه الايام لضيق الميزانية ؛ وسعت وزارة الاوقاف لجعلها بمنزلة مدارس المعارف في الاعتبار لقلة اقبال الناس على دراسة العلوم الاسلامية ، فاعترفت وزارة المعارف بها في هذا العام واعتبرتها بمنزلة الثانويات الرسمية التي تدرس فيها العلوم التي يسمونها « العصرية » غير انها اقترحت ان تتوفر فيها العناية بدروس اللغة العربية والدين لحاجة مدارس المعارف الابتدائية الى من يحسن تدريس اللغة والدين فيها .

ذا مسجد قد اشرقت * أنوار بهجته اللطيفه
بجوار مرقد من تسنـ * ـم غرفة الشرف المنيفه
علم الهدى النعمان من * كان التقى أبداً حليفه
لو رام تالد فضله الـ * ـعلماء طوراً او طريفه
وتأنقوا فى الجد واجـ * ـتهدوا لما بلغوا نصيفه
قد شيدت بنيـانه * لله والدة الخليفه
سلطان أهل الأرض حا * مي حوزة الدين الرصيفه
ملك يبيت عـدوه * وجلاً ويصبح منه خيفه
غمر الرعية كلها * بنوال رحمته الشريفه
لطفاً وأمر بالعرا * ق على رعيته « رديفه »
لما رأى أعناقه * في نصحه ورأى وجيفه
ورأى مخايل همـة * ليست بوانية ضعيفه
فشفى العراق بعدله * ويمن وطأته الخفيفه ؟
فبهمة منـه بنت * تلك المطهرة العفيفه
ترجو رضا ملك الملو * ك غداً الذى نشر الصحيفه
ذا المسجد الزاكي ومذ * أبصرت صنعته الظريفه
أرختـه « قد شيدت * أركانه لأبي حنيفـه »

وهذه العمارة على حالها اليوم بيد انها احتاجت الى بعض الاصلاحات والترميم فاجريت من قبل ادارة الاوقاف المحلية [1] .

---

(١) هذا يؤيد ماذكرناه فى (ص٢٣) من أن التاريخ المكتوب بالحجر الكاشاني على جبهة جدار الرواقين انما هو تاريخ تجديده لا تاريخ عمارة والدة السلطان

وحول الجامع اليوم قصبة [1] صغيرة تشتمل على نحو خمسمائة بيت ، وفيها بعض البيوت العامرة والقصور الجميلة على ساحل دجلة ، وفيها كثير من الحدائق والبساتين هي متنزه أهل بغداد أيام الربيع ، وفيها سوق وحمام ومساجد اخرى وعدة مراقد للصالحين . وهي بمسافة فرسخ عن جانب الرصافة في جهة الغرب .

جامع الاصفاني
أو
تكية الخالدية

هو واقع في قلب الرصافة ، ومطل على دجلة . يمر الداخل فيه في طريق خاص فيستقبله الجامع ، وفيه مصلى صغير . وأمامه صفة ، وفيه حجر وطابق علوي أيضاً مشتمل على غرف بعضها مطل على النهر وبعضها في الجهة الشمالية . وكان هذا الجامع مجمع الزهاد والمتقشفين ، ولما أقام فيه الشيخ خالد النقشبندي بعد عوده من البلاد الهندية سنة ١٢٣١ هـ عمره له والي بغداد يومئذ وأصلحه ، فسمي (بالتكية الخالدية) [2] نسبة الى الشيخ خالد

(١) وهي اليوم ناحية تدعى (الاعظمية) نسبة الى ابي حنيفة الملقب (بالامام الاعظم) رحمه الله واهاليها كلهم مسلمون على مذهبه وجلهم من عشيرة العبيد (بالتصغير) جاء بهم السلطان مراد في القرن الحادي عشر الهجري ليكونوا حماة لقبر ابي حنيفة من تعدي الفرس ومن يلف لفهم اذ لم يكن يومئذ هناك غير المسجد والمدرسة فابتدروا المنازل وتناسلوا وكثروا ولا تزال أعقابهم في (الأعظمية) ...

وبيوتها اليوم زهاء الالف وهي آخذة في العمران لطروء المصطافين عليها من المسلمين والنصارى واليهود وتقدم بعض اهلها في العلم والمدنية .

(٢) أنظر كيف تتلاعب رجال السياسة وولاة الحكم فتجعل المساجد ملاجئ للمتصوفة وتكايا للكسالى والخاملين !

المذكور ، ينطق بذلك ما كتب على باب المصلي من النظم ومنه :

لله مأوى السالكين معاهد * للناسكين معاقل ومعاقد
كملت محاسنها فقلت مؤرخاً * (للمنح زاوية بهاهـا خالد)

وبقي مقيماً فيه الى أن سافر الى دمشق ثم صار محل اقامة خلفائه ومريديه (كما يقولون) الى يومنا هذا .

وفي هذا الجامع خطيب وامام ومؤذن وخادم ، وتؤدى فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة . وفيه خزانة كتب وقفها ابراهيم فصيح الحيدري .

وفيه عدة قبور منها قبر الشيخ محمد بن أحمد الاحسائي الحنفي صاحب التآليف الكثيرة منها حاشية على شرح الألفية للسيوطي في النحو ، وكتاب التعريفات ، وشرح تهذيب المنطق . وكانت وفاته سنة ١٠٨٣ هـ .

وقد رمم الجامع محمد نجيب باشا أحد ولاة بغداد سنة ١٢٦٣ هـ وأرخ ذلك عبدالباقي العمري بأبيات وشطر التأريخ « أجد جامع مولانا[1] ببغداد » وكذا أرخه السيد شهاب الموصلي المتوفي سنة ١٣٢٠ هـ بأبيات منها :

ذا جامع جدده ذو ازرأمه * الحاكم المنصف حاوي الحكمه
(محمد) المولى الوزير ذو العلا * يدعى (نجيباً) بين أهل الدوله

الى أن يقول :

من بعد ضيق كان في تاريخه * وسعت أتقى جامع للامه !

جامع الأزبك

هو عن يمين الداخل لبغداد من الباب العربي الشهير بباب المعظم ، متصل بهذا الباب[2] وفي جواره زاوية لفقراء الأزبك ، وقد خصص لهم

(١) يريد بمولاه « الشيخ خالد النقشبندي » .

(٢) أشرف هذا الباب قبل الحرب على الانهدام فهدم ولم يبق منه عين ولا أثر وكان يعد من آثار بغداد القديمة .

مايسد فم حاجتهم من ادارة الاوقاف المحلية ، وعندها سقاية . وقد أشرف هذا الجامع على الانهدام فى عهد داود باشا فتداركه وجدد بناءه ووسع فناءه وشاد فيه مئذنة صغيرة على الشارع . ولما أتم عمارته أنشد الشاعر الشيخ صالح التميمي مؤرخاً :

وذي قوة لله أسدى صنائعا	مطاعاً أتى اذ كان لله طائعا
حمى بيضة الاسلام من كل ناكث	على ثقة في روضة البغي رانعا
وشيد بيتاً لا تزال ترى به	فتىً ساجداً من خشية الله راكعا
هو البيت لو أن المحصب أومنى	بجنبيه لم تقطع الى البيت شاسعا
اذا حل جبار قرارة صحنه	غدا قلبه من خشية الله خاشعا
اذا جئت للزوراء قف عند بابها	ترى جامعاً من غفلة الجهل مانعا
لعمري بداود استقامت قواعد	من الدين لم يبصر لها الشرك دافعا
وحيث الهدى أقصى الفساد مؤرخاً	« مليك لذكر الله جدد جامعا »

وهذا المسجد تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات المكتوبة ، وله خطيب ومؤذن وخدام ، وهو مفروش بأحسن الفرش [1] .

جامع الآصفية

هو من المساجد القديمة فى الرصافة مطل على دجلة وجسر بغداد الحاضر غير أن كر الليالي ومر العشي قد ضعضعا منه بنيانه وزلزلا أركانه حتى صار مجمع الكناسة والاقذار . ثم اتخذه المولوية « تكية » لهم ومغنى لتواجدهم وغناهم وربما وضع الجند فيه خيامهم وأثقالهم حتى تداركته همة الوزير داود [2] باشا ايام ولايته على بغداد فرفع قواعده وبنى فيه مصلى واسعاً عليه قبتان وبنى

---

(١) وقد رممته وزارة الاوقاف فى اواخر العام الماضي واصلحته احسن اصلاح .

(٢) ستأتي ترجمته عند ذكر جامع الحيدرخانة .

عنــد جانبيهما مئذنتين[٢] بالحجر الملون الكاشاني ، وبني في جهاته الثلاث طاقين طاقين ، وجعل فيــــه مدرسين ، وأقام فيه خطيباً و إماماً وجماً من المؤذنين والخدم .وقد أرخ تمام عمارته الشاعر الشيخ صالح التميمي بابيات رسمت بالحجر الكاشاني على الباب الذى فى جهة الشرق من المسجد وهي هذه على ما نقلتها من محلها :

ذا جامع كان قدماً لاشبيه له * فى حسن بنيـانه والدهر بعثره

وكم وزير أتى الزوراء ثم مضى * ولا لغير خيــــام الجند صيره

حتى أتى ذوالعلى داود آصفنـا * من حاز بالسبعة الأفلاك مفخره

فشاد أركانه من بعد ماانهدمت * للعابدين ووشـــاه وصوره

ومذ أتم غدا الداعي يؤرخــــه * ذا جامع بالندا داود عمـــره

وأرخه ايضاً بقوله :

وجامع جسر جرد الدهر جيشـه * على ربعه كرهاً وسل حسامه

وغادره بين الجوامع ثاكلاً * ومفتقـداً مأمومه وإمامــــه

وكم من وزير عالم بحقوقـه * مكان أداء الفرض حط خيامه

الى أن تـولى الامر داود رده * الى شرف قدماً أراش سهامه ؟

جدارهدى مذ كاد ينقض أرخوا * تصـدى له داود ثم أقامـه

ونظم ابياتاً اخرى في تاريخ المئذنتين وكتبت على صدر محراب الرواق وهى هذه :

---

(١) هب فى اوائل الحرب العامة اعصار شديد معه مطر ينصب كالسيل الجارف كاد يجعل بغداد عاليها سافلها، وذهبت به شرفات البيوت ورأس هاتين المئذنتين وبقيتا كذلك حتى نشطت وزارة الاوقاف بعد الاحتلال فعمرت اكثر الجوامع وشادت فوق بقايا احدى مئذنتي جامع الآصفية مئذنة شامخة ذات حوضين وهدمت بقايا الثانية ، ثم جددت رواقه والجهة الغربيــة التي أدخل بعضها بعد الاحتلال في شارع الجسر .

جامع داود قد عمره * فغدت يحكيه فردوس الجنان

واستقامت بالتقى اركانه * بعدما بعثره طول الزمان

سمكه أعلى ومن همته * قد بدا في طرفيه علمان

جعلوا تاريخه الخيرات مذ * شيد فيه أرخوا مئذنتان

ولم أر على الجدران من الكتابة سوى ماذكر. نعم كتبت على صدر المحراب الشتائي هذه الآية (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا)

ولما كملت عمارة هذا المسجد طلب جمع من أهل العلم وأكابر البلد الى الوزير فتح باب آخر يسلك بالمارين الى الجسر متصلا بهذا المسجد من الجهة الغربية، وما كان في هذا الباب من القيل والقال سجل في سجل الاوقاف السلطانية مع مافيه من فتاوى أهل العلم، فاستقر رأيه على الفتح، وبعد ان فتح الباب انشد التميمي مؤرخا وقد نقل عن المرسوم في صدر هذا الباب:

آثار داود آثار بها لبست * بغداد حسناً روق العين واضحه

تشكو الرصافة قدماً ضيق مسلكها * ويكره الضيق غاديه ورائحه

فأمنحت بطريق لا زحام به * وباب جسر حبي بالنصر مانحه

يخاطب الفلك الاعلى كأن به * شوقاً الى المشتري يبغي يصافحه

أعيا أبا جعفر المنصور حين بنى * خط أبو يوسف المنصور رابحه !

داود من أبدت بالنصر دولته * وعن لسان الثنا سارت مدائحه

لازلت تسمع خيراً من مؤرخه * باب وداود رب الفتح فاتحه

وما زال الاصلاح جاريا عليه من قبل ادارة الاوقاف المحلية.

وداخل هذا الجامع قبر عن شمال الداخل في الرواق في سرب من الارض عقدت عليه قبة موازية لأرض المسجد في غاية من الاتقان والرصانة . والصندوق على سطح القبة مسامت للقبر. وقد اشتهر بين الناس ان الدفين هو العالم الزاهد

ابو الحارث المحاسبي ، وكان بصري الاصل ثم أقام فى بغداد وتوفي سنة ثلاث وار بعين ومائتين ؛ ومن الشيعة من يقول انه الكليني من أكابر علماء الامامية ورواة حديثهم وكلا القولين لم يصح ولا سيما الثاني فانه بعيد جداً على ان المحققين من الامامية لم يعترفوا بذلك . بل الذى يفهم من كلام بعض المؤرخين انه قبر أبي جعفر المستنصر بالله الخليفة العباسي باني المدرسة المستنصرية. و بناء القبر على هذا الوضع ينبئ انه مشهد لأحد الخلفاء اذ كان هذا مقبرة لبني العباس كما ذكر بعض المؤرخين . وكان هذا المسجد من مرافق المدرسة ومتمماتها فمن المحتمل ان يدفن فيه باني المدرسة المذكورة بل هو الظاهر المتعين ومن البعيد ان يدفن فى مثل هذا الكليني أو ذلك الرجل الصالح الذى كان لا يملك ديناراً ولا درهماً . وكان اهل العلم والورع فى ذلك العصر يتجنبون عن زخرفة القبور ومخالفة السنة النبوية فيها . ومن البعيد ان يصرف غيره على عمارة مرقده نحو عشرة آلاف دينار فلابد ان يكون ذلك لاحد الخلفاء .

جامع حسن باشا

هو من المعابد الشهيرة في الرصافة واقع أمام دار الحكومة ، وكان مسجداً صغيراً ، فلما اشرف على الخراب عمره ابو المعالي حسن باشا ايام ولايته على بغداد وزاد فيه وصرف مبلغاً وافراً على عمارته

وهو رصين البناء متين القواعد والاركان . فيه مصلى شتائي واسع جداً وعليه قباب رفيعة معقودة بالجص والآجر . وليس فيه زخرفة ولا نقوش ، وعن شرقي المصلى قامت مئذنة شامخة مبنية بالحجر الكاشاني الملون . وامام المصلى رواق واسع وفي فناء الجامع مصلى صيفي عن يمين الشتائي اي فى غربيه ، و فيه مدرسة رتب لها مدرس واحد ، ومحل للتوقيت ، وحجر يسكنها

خدام الجامع ، وله خمسة ابواب [1] يسلك منها المصلون وتقام فيه اليوم الجمع والاعياد وسائر الصلوات المكتوبة [2]

جامع الحمام المالح

هو من المساجد القديمة العهد في الرصافة ، واقع في محلة الحمام المالح قرب محلة الفضل ، ويسمى ايضاً جامع احمد باشا بوشناق لأنه جدد عمارته وأقام أبنيته بعد أن أشرفت على الخراب . وفيه مصلى واسع ، وفناء رحب وحجر ، وفي جنب المصلى منارة ، وفيه مدرسة وظف لها مدرس يدرس فيها علوم اللغة العربية والدين الاسلامي ، وفيه امام وخطيب ، وواعظ في شهر رمضان ، ومؤذن وخدم . ولم نجد على جدرانه من الكتابات مايعرفنا بما جرى عليه .

جامع الجبدرخانة

هو من اتقن جوامع بغداد صنعة واحكاما . اختطه والي ايالة بغداد داود باشا . وكان قد اوعز باختطاط صعيد من مساحة بغداد للمسجد الجامع اذ كان مااختط قديما على قدر اهلها حيث عدت من زمعات البلاد شحوط دار وشطون مزار ، فكان كما قصد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران على ترابيعه ، فصب بدر المال على الصناع ونصب لمشارفتهم احد الزعماء بحضرته يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل ونقل اليه من الاقطار عمداً واساطين

---

(١) سدت واحدة منها اخيراً .

(٢) اجريت فيه اصلاحات كثيرة ، وبنيت عن يمين مصلاه الصيفي مدرسة ذات طابقين تسلك الى حديقة صغيرة ؛ ونقل « محل التوقيت » الى طابقها السفلي وجعلت للمدرسة القديمة مدرسة ابتدائية للوقف يدرس فيها صغار المتعلمين . وآخر ما جرى عليه من الاصلاح والتحسين في العام الفائت بعناية صاحب المعالي الشيخ امين عالي آل باش اعيان وزير الاوقاف الحالي

وفرش ساحته بالمرمر منقولاً من كل مضرب سحيق على تقطيع التربيع ، وعقدت عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز .

وهو مربع البناء متناسب الزوايا والارجاء . فرشه وازاره من الرخام ، وله ثلاثة ابواب عظيمة وقد بنى فيه مدرسة تشتمل بيوتها من بساط الارض الى مناط السقوف على كتب كثيرة من تصانيف اعلام الامة بخطوط كفرائد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد ينتابها علماء دار السلام والجامع مشتمل على ساحة واسعة ، ومصلى شتائي مرتفع عن الارض نحو ذراعين وعليه قبة شامخة فى السماء بديعة الشكل مبنية بالحجر الكاشاني الملون مكتنفة بقبتين أصغر منها على شكلها قائمة عن يمينه منارة تطاول الرواسي ؛ وعلى مصلى صيفي عن يمين المصلى الشتائي ، وعلى حجر يسكنها القائمون بشؤون المسجد من امام وخطيب ومؤذن وخادم وبعض طلاب العلم .

وكان الفراغ من عمارته في السنة الثانية والاربعين بعد المائتين والالف من الهجرة علمناه من الكتابات المنقوشة على جدرانه من ذلك ما كتب فوق الباب الذي فى الجهة الغربية منه وهو هذه الابيات :

ذا من بيوت باذن الله قد رفعت	للذاكرين بتسبيح وتحميد
على تقى الله بالاخلاص أسسه	ذو العلم والحلم والانصاف والجود
داود من قد حكى فينا خلافته	نص الكتاب بلا شك وترديد
فقام فيها بأمر الله منتدباً	لها بأصوب إتقان وتسديد
وظل يستبق الخيرات محتسباً	قد كان عنها سواه ثاني الجيد
فكم بنى جامعاً للعاكفين وكم	للعلم شيد مغنى أسيء تشييد
لكي ينال بدنياه الثناء وفي	عقباه يلقى الرضا من خير معبود

فقـل للذي الصنع أقصر يا مؤرخه كفى بذا جامعاً من صنع داود

١٢٤٢ هـ

وعلى الباب الجنوبي عن يمين المصلى :

اذا افتخر الباني بتشييد مابنى فداود أولى أن يكون له الفخر
بنى جامعاً كل المحاسن جامعاً مزاياه جلت أن يحيط بها الحصر
على الدهر يخشى من قويم بنائه اذا ما المباني ثل أركانها الدهر
فسيح مصلاه رحيب فنـاؤه منيف الذرا ينحط من دونه النسر
كأن دوي النحل في عرصـاته دوي المصلين الذين لهم ذكر
وخص بروحانية دون غـيره لذاك مهما جئته انشرح الصدر
فلا ضيم منشيه ولا فل حبـله ولا ناله ضـد ولا مسـه الضر
ولا زال من وافاه يدعو مؤرخاً لداود عن تشييد جامعه الأجر

١٢٤٢ هـ

وعلى صدر طاق باب الرواق الأوسط :

[بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر قد عمر هـذا الجامع الشريف والمعبد الساطع المنيف خاتمة الملوك والوزراء الذي عقمت بمثله الامهات والآباء الفائز بالحكمتين العلمية والعملية الحائز للرياستين الدينية والدنيوية القهرمان الأعظم والخليفة المعظم كوكب فلك السعود أبو الفتوحات الوزير داود أعلى الله تعالى كعبه وأباد حسوده وأبقى لنا ظله وعدله انه على ذلك قدير] .

وعلى الباب الأوسط من أبواب المصلى :

[أنشأ وعمر هذا الجامع الشريف ، في أيام خليفة الرحمن السلطان محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان دام ملكه ، الوزير المعظم والدستور المكرم

كوكب فلك السعود أبو الفتوحات داود دام ظله واقباله سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف من الهجرة] .

وعلى طاق المحراب :

[أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا صدق الله العظيم] .

وعلى طاق المحراب الصيفي :

[بسم الله الرحمن الرحيم إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا] .

ولما جدد ذلك سنة احدى عشرة وثلاثمائة كتب عليه :

قرت عيون المؤمنين بقبلة * سطعت أهلة رشدنا بهداها

فلفضلها نادى الآله حبيبه * لنولينك قبلةً ترضاها

وعلى الباب الجنوبي الشرقي :

قد كان داود بنى جامعاً * يذكر فيه اسم الآله المجيد

أسس بالتقوى وكم قد حوى * من شامخ سام وركن مشيد

لكنه من بعد ما قد حكى * في سمط جيد الدهر عقداً فريد

أقوت لطول العهد أركانه * حتى لقد قارب من أن يبيد

فبينما وهو على حاله * يشكو ولا يلقي له من معيد

اذ عمه لطف مليك الورى * فكان من نعمته في مزيد

سعى الى الله بتجديده * لا خاب مسعاه بيوم الوعيد

وقد عفت أرخت أركانه * أعادها الخاقان عبد الحميد

١٣١١ هـ

ترجمة باني جامع الحيدرخانة

هو عالم الوزراء وفاضل الامراء داود باشا والي بغداد . ولاها سنة

احدى وثلاثين بعد المائتين والالف ، وعمر مساجد عديدة ، وأسس مدارس كثيرة ، وجاء بالمدرسين من البلاد وأسكنهم ورتب لهم الكفاية وأجرى عليهم الجرايات والعطايا ولاسيما هذا الجامع الكبير الذي أنشأه وعدد فيه المدرسين والخطباء[1] والأئمة والخدم. وترفهت أحوال الرعية في أيامه وهو أحد موالي سليمان باشا الصغير أحد ولاة بغداد تفرس فيه قابلية الرياسة والكمال فأشغله بتعلم القرآن وبتحصيل العلم الى ان فاق أقرانه بالعلم والعمل وأخذ الاذن من السيد صبغة الله الحيدري الزيارتي وتخرج عليه بعد ان قرأ مدة مديدة على أسعد افندي الحيدري. وبعد ان تولى وزارة بغداد نحو اربع عشرة سنة توجه الى اسلامبول وفي السنة السابعة والاربعين والمائتين والالف طلبه السلطان محمود خان فشخص اليه ، وكان قد غضب عليه لوشاية بعض المنافقين ، فلما وصل ورآه أكرم نزله وأحسن اليه وولاه (بوسنه) فحكم فيها سنة. وخرج منها الى اسلامبول وبعد أيام ولاه على (أنقرة). وفي سنة اثنتين وستين ولاه السلطان عبد المجيد خان مشيخة الحرم النبوي على ساكنه افضل الصلاة واكمل السلام فتوجه وحج في تلك السنة ورجع الى المدينة المنورة وبقي فيها الى ان توفي ودفن فيها وقد أفرد ابن سند كتاباً في ترجمته وأيامه

جامع الخاتونيه

هذا المسجد الجامع قرب محلة عباس افندي ، ويعد من محلة الحيدرخانة في أيامنا ، والمحلات ليس لها حدود معلومة ، بل انها من الامور الاعتبارية ففي كل عصر يصطلحون على أسماء يجعلون مسمياتها محلات .

وقد بنت هذا الجامع الأمرأة الصالحة منور خاتون زوج سليمان باشا ، وكان لها ولد اسمه صادق قتلته الموالي بعد قتل أبيه ، وكانت من أصحاب

[1] ليس فيه لعهدنا غير مدرس واحد وخطيب وامامين .

الخيرات والمبرات محبة للفقرآء والمساكين .

ولما تم بناؤه نظم بعض المتأدبين هذه الابيات المرسومة اليوم فى صدر بابه :

جامع للانوار لاح محرر * فى جنن الزوراَء ، الله أكبر !
أسسته على التقى من حلال * فحكى المسجد الحرام المطهر
زوج فرد الزمان أعني (سليما * ن) أنا (الصادق) الوزير المظفر
هي أم الخيرات ذات المبرا * ت التي في ذرا المنابر تذكر
قلت إذ أكملته بالخير أرخ * جامع للأنوار شادت منور

١٢٦٧ هـ

وفى الجامع مصلى متوسط للشتاء والصيف يسع نحو مائة مصلٍ أوأكثر. وفيه منارة لطيفة مبنية بالكاشاني ، وحجر لطلاب العلم وخدم الجامع . وفيه مدرسة ومدرس يدرس العلوم العقلية والنقلية وهو الى اليوم معمور تقام فيه الجمع والصلوات المكتوبة

جامع الخاصكى

هو جامع كبير قريب من جامع الأحساني فى الجهة الشمالية منه (بين شارع النهر والشارع العام ولكنه الى الثاني أقرب) . فيه مصلى رحب وعليه قبة متينة ، وفى جنبها مئذنة رصينة.وساحته واسعة فى وسطها عدد من النخيل. وفيه مدرسة

شاده محمد باشا الخاصكي والي إيالة بغداد من السنة الـ ١٠٦٧ الى السنة الـ ١٠٦٩ هـ ، وكانت مدة ولايته سنتين وخمسة عشر يوماً ، وكان من أهل البر والتقوى .

وقد خرب هذا الجامع مدة ، وفى السنة التاسعة بعد الثلثمائة والالف هـ

أعيدت عمارته كما كانت من قبل إدارة الأوقاف السلطانية [1] ، ورتب فيه

---

(١) وقد خربت هذه العمارة وأغلق الجامع وظل مهملاً الى ان تولى الوزير الموفق معالي الشيخ أمين عالي آل باش اعيان العباسي وزارة الاوقاف في العام الفائت، فانتبه اليه وعني بتجديده على اجمل وضع واحسن بناء . . . وقد زرته أمس (٧ صفر) فرأيت مصلاه على وشك الفراغ منه ، مبيناً بالطاباق الاصفر ، ومعقوداً سقفه بعمد الحديد المسمى (بالشيلمان) ومرفوعاً على سوار من الرخام الابيض الجميل ، والهمة مبذولة في اتمامه

وكان في هذا الجامع محراب أثري من ابدع آثار الفن الاسلامي . وهو قطعة عظيمة من الرخام متقنة الصنع ، والمظنون أنه كان محراب الجامع الكبير الذي بناه المنصور ، وقد جاء وصفه في مؤلفات كثيرة منها المذكرة التي قدمها كثير من الباحثين الى (مجمع الفنون)، ودونها « فيوله » في الباب الحادي عشر من كتابه المطبوع في سنة ١٩٠٩ م . ومنها ما كتبه هرزفلد في جريدة الاسلام الالمانية سنة ١٩١٠ م وما ذكره في كتابه آثار الفرات .

وقد حاول بعض المستشرقين على عهد الاتراك ابتياعه فلم يفلح. وفي عام ١٣٤٣ ﻫ انتزع من هذا الجامع ، وأشيع بأن في النية وضعه في أحد متاحف لندن. فرفعت صوتي في استنكار ذلك بمقالة نشرتها جريدة (المفيد) البغدادية يوم ٢ ذي القعدة ١٣٤٣ ﻫ ٢٦ مايو ١٩٢٥ م فانتحلت وزارة الاوقاف لها عذر المحافظة عليه من اللصوص !

وبعد نحو عام بلغ ذلك المستشرقين فاهتموا له وكتب احدهم الى الكاتب الاصلاحي الكبير الامير شكيب ارسلان يلفت نظره الى هذا الامر فردد صدى استنكارنا بمقالة نشرتها (الشورى) بمصر ، واهتم له كثيرون...

والمحراب اليوم محفوظ بالمتحف العراقي ببغداد وقد زرته في مثل هذه الايام من العام الماضي ورأيته هناك ثم اخذت صورته وبعثت بها الى الاخ في الله والمشرب الاستاذ العالم العامل السيد محب الدين الخطيب بمصر فنشرها في مجلته الزهراء م ٣ ص ١٩٦ وليست لدي الآن فانشرها هنا . وانا لنرجو من معالي الوزير العباسي أن يسعى لاعادته الى مكانه القديم من عمارة جامع الخاصكي الجديدة التي لم تبق للعذر الذي انتحله سلفه محلا من الاعراب ! وهو فاعل ان شاء الله .

خطيب وإمام ومؤذن وخدم ، وفرش مصلاة بأحسن الفرش . وهو اليوم من المساجد التي تقام فيهـا الجمع والاعياد وسآئر الصلوات المكتوبة . ولم أر على جدرانه من الكتابات الناطقة بما جرى عليه من العمارات .

جامع الخلفاء

كان هذا هو المسجد الجامع أيام الدولة العباسية ، بناه الامام محمد المهدى في أوائل [1] خلافته وذلك سنة ١٥٩ هـ فى رصافة بغداد فى الجانب الشرقي منها . وكان واسع الفضاء والمصلى جداً ، وكان مصلى خليفة المسلمين من بني العباس . ومصلاه يومئذ يسع جمعاً لايحصون بعمارة تروق الناظرين إحكاماً وصنعة ، وفيه مئذنة شامخة تناطح السحـاب . فلما دارت دوائر البلى على مدينة السلام انهدت اركانه واندرست رسومه وآياته ولم يبق منه الا مئذنته التي بقيت تندب قومها وتبكيهم

---

(١) ذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ان المهدي بنى في الرصافة جامعا اكبر من جامع المنصور وأحسن وان فراغه من بناء الرصافة والجامع بها كان سنة ١٥٩ هـ اي في السنة الثانية من خلافته ، وانه وجد تلك النواحي في عصره خربة وانه لم يبق منها يومئذ الاالجامع وبلصقه مقابر خلفاء بني العباس . قال « وعليها وقوف وفراشون ولولا ذلك لخربت » . وبعد وفاة ياقوت بقليل انقرضت الدولة العباسية سنة ٦٥٦ ثم اختلفت ايدي المتغلبين على العراق الى ان استولى عليه آل عثمان فلم يعبأوا بما فيه من آثار العرب القديمة فاختل هذا الجامع وقسم الى دور واسواق على نحو ماذكر الاستاذ المؤلف . وذكر بعضهم انه ادرك من هذا المسجد الجامع ميلين شامخين في الهواء كانا على جانبي بابه وان سليمان باشا والى بغداد سنة ١١٩٣ هـ هدمهما وبنى بانقاضهما مسجداً صغيراً بقرب المنارة (وهو المسجد الموجود اليوم) وان الباب الذي عليه الميلان كان عند السوق التي يباع فيها اليوم الغنم وغيره .

وقد اعتنى البريطانيون بعد احتلال بغداد بالمنارة الباقية منه وجددوا كرسيهـا على الاساس الاول ولم يكملوها .

ثم صار هذ الجامع محلة كبيرة وسوقاً واسعة تسمى (سوق الغزل) ، وبقيت منه عرصة خالية فعمر فيها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد في سنة ١١٩٣ ﻫ مسجداً ابقاء لذكرى هذا المعهد الشهير ، وعين له مدرساً وإماما وجملة من الخدم

وكانت له غير ذلك آثار بديعة في بغداد و واحيها فقد عمر سور جانب الرصافة وأصلحه ، وانشأ سور غربها ، وكلا السورين اليوم لاعين له ولا أثر . وجدد عمارة دار الامارة . وانشأ مدرسته المعروفة بالمدرسة السليمانية ، ووضع فيها خزانة كتب مشحونة بالمخطوطات المعتبرة وعمر جامع القبلانية، وجامع محمد الفضل ، وزوق منارة جامع أبي حنيفة . وأنشأ سوق السراجين والخان الذي فيه قرب دار الامارة . وعمر قنطرني « دلي عباس » على نمط اختاره . وقنطرة على نهر نارين . وعمر « كوت العمارة » وسورها . وسور البصرة . وقرية الزبير من أعمال البصرة ، وسور الحلة . وسور ماردين . وأنشأ قرب الموصل قلعة حصينة ، وأحيا في طريق ماردين موضعاً معروفاً بجلاغة . وكثير من هذه الآثار خرب واندرس . وكانت وفاته سنة ١٢١٧ ﻫ.

جامع رأس القرية

اذا تجاوز المار جامع الاحساني ومشى نحو الجهة الشرقية خطوات قابله هذا المسجد الصغير . وقد أنشأه صاحب المبرات الحاج أمين الباجه جي ، وكان من أهل الصلاح محباً للخير ، وأنشأ فيه مدرسة لطيفة الوضع مطلة على الطريق بعقد ، ورتب له مدرساً واماما . وتقام فيه الصلوات المكتوبة ماعدا الجمع [1] ولم أر على جدرانه شيئاً من الكتابات ، وكان تاريخ عمارته سنة [2] بعد المائتين والالف من الهجرة .

(١) واليوم تقام فيه ، والخطيب مدرس المدرسة .(٢) بياض في الاصل

جامع الشيخ سراج الدين

هو من مساجد بغداد القديمة واقع في محلة الصدرية قرب محلة الشيخ عبدالقادر الجيلي وهو واسع المصلى ، فسيح الساحة ، رصين البنـآء ، مشيد الارجاء .على مصلاه قبة عظيمة وحولها مئذنة شمخة وفيه خطيب وامام ومؤذن وخدام ، ومازال معموراً بعبادة الله : تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة.

وقد جدد عمارته والي ولاية بغداد حسين باشا عام ١١٣١ هـ ،وزخرف قبر الشيخ سراج الدين المدفون في هذا الجامع ، على مانطق به التاريخ المنقوش في لوح المرمر الذي على القبر ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم * هذا مرقد الشيخ سراج الدين قدس الله سره العزيز . عمره آصف الزمان ، وخلاصة وزراء آل عثمان ، والمشار اليه بالبنان ، والي ولاية بغداد دار السلام ، الوزير المعظم ، والمشير المفخم ، ابو الخيرات حسن باشا أطال الله عمره وأبقاه ، ويسر له من الخير ماشاء ، وأرتضاه ؛ وذلك سنه احدى وثلاثين ومائة والف من الهجرة .

وأوصل الى الجامع ساقية من مآء دجلة ، وانشأ فيه سقاية يشرب منها المارون .

والشيخ سراج الدين هذا من رجال الصوفيـة . وله ذكر في كتاب (تاريخ أولياء بغداد).

جامع السيد سلطان علي

هو مسجد من مساجد بغداد القديمة واقع على دجلة من نهر المعلى قريب على مسجد الحاج نعمان الذي سبق ذكره في الجهة الشرقية منه لم تزل تقام فيه الجمع والاعياد ويقصده المصلون والزهاد وقد صدر ارادة أمير المؤمنين وسلطان المسلمين السلطان الغازي عبدالحميد خان ايد الله تعالى دولته الى آخر الزمان بتجديد عمارته وتجديد بنيته وانشاء مدرستين وزاوية لاتباع ابى العلمين فتمت العمارة حسب امره العالى نصره الله على اعدآء الدين ماتعاقب الايام والليالى . وقد كتب تاريخ اكمال العمارة على باب المسجد وهو هذه الابيات:

الحمد لله الكريم الذي   بالفضل والاحسان عم العبيد

[illegible] ... حوزة الاسلام [illegible]

من آل عثمان نجوم الورى ... فخر ملوك الارض عبد الحميد

أصبح مصداقا لنص أتى ... يتلى جهاراً في الكتاب المجيد

مذ شاد اسنى أمره جامعاً ... وتكية للطالب المستفيد

وحوله مدرستان ابتنى ... والمرقد السامي الشريف السعيد

لحضرة السلطان ذخري على ... فخر بنى الزهرآء ذاك الفريد

وعندما أبدع تكميله « ... وصار في الزوراء عيد جديد

أرخ وقل جدد تعميره

امامنا العادل عبد الحميد

١٣١٠

وفي هذا المسجد اليوم مدرسان وخطيب وأمام وجملة من الخدم ومصلاه حجرة مفروشة باحسن الفرش والقائم بمقتضيته ادارة الاوقاف المحلية

جامع الصاغة

على شاطئ دجلة قريب من المستنصرية في جهتها الشرقية ، ويسمى جامع الخفافين لأن عند بابه سوقاً تصنع فيها الخفاف الحمر .

فيه مصلى واسع على النهر، عن يمينه مئذنة ؛ وفيه مدرسة عامرة وحجر أخرى . لم يزل تقام فيه الجمع والأعياد والصلوات المكتوبة . وفيه خطيب ومدرس وإمام و واعظ وخدم وفيه خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد ، والكثير منها تلف بتداول الايدي عليها ، كما ان غالب كتب مدارس بغداد جرى عليها ماجرى على هذه بل ان منها مالم يبق لها عين ولا أثر . ولله الامر ! وليس في جدر ان الجامع كتابات تنطق بما جرى عليه من العمارات . ولا نعرف الذي خطه وابتدأ عمارته . والقائم بشؤونه اليوم متوليه من آل مصطفى سليم

جامع العادلية الكبير

اذا تجاوز المار جامع الصاغة ومشى الى الشرق نحو ثلثمائة خطوة أو اكثر رأى هذا الجامع عن شماله تجاه (المحكمة الشرعية) فيه مصلى واسع ، ومنارة شامخة ، وفيه مدرسة فى الطابق الذي فوق الباب ، وخزانة كتب ، وبعض الحجر .

أنشأته صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت احمد باشا الذى تولى إيالة بغداد اثني عشرة سنة وذلك من سنة تسع وأربعين ومائة والف الى السنة الحادية والستين . وكان زوجها احد موالي ابيها وهو سليمان باشا ، وقد تولى ايضاً ايالة بغداد اثنى عشرة سنة ، وذلك من السنة الثالثة والستين بعد المائة والالف الى السنة الخامسة والسبعين . وكانت هى من أهل التقوى والصلاح محبة لأهل العلم والزهد كثيرة الصدقات . ولوالدها آثار مبرورة ومساع مشكورة . وهو الذى حافظ بغداد وقاوم نادر شاه ملك الفرس من استيلائه على العراق ، وهو الذى أرسل العلامة الشيخ عبدالله السويدي عليه الرحمة للمناظرة مع علماء الامامية حتى اظهره الله عليهم كما هو مفصل فى رحلته ، الى غير ذلك من مزاياه التى تزينت بها صحائف التاريخ . وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة ثمان وستين ومائة والف .

ورأيت على باب المسجد هذه الأبيات وقد نقشت فى المرمر :

الا لله من بيت معلى ... معد للاقامة والصلاة
بناء اسه تقوى ودين ... ينيف على الخورنق من جهات
فنعم الجامع الوضاح يزهو ... كبدر في الدياجي الحالكات
تنور للعبادة فهو يزري ... بانوار النجوم الزاهرات
بنته بمالها أم المعالي ... عقيلة قومها ست السراة

سليلة (أحمد) المرحوم رب الـ   محامد والعلى مولى الكفاة
وزوجة مفخر الوزراء حتف الـ   عدى فلاق هامات الكماة
(سليمان) الزمان الآصف القر   م فتى الفتيان ممدوح السمات
الا يا دهر فافخر أنت حقاً   بعادلة الرضا ام الصلات
كريمة قومها فى كل مجد   وغرة دهرها ذات الهبات
ومطعمة اليتامى والبرايا   وكاسية الارامل والعراة
تجدد كل يوم فعل خير   ومن حسنى صنيع الصالحات
وتعمر مسجداً لله تبغي   جزآء الخير فى يوم النجاة
وهذا الجامع الاسنى بنته   تروم به ثواب المحسنات
وقد جعلت ثواباً كان منه   لوالدها الرضاذى المكرمات
ليحيا ذكرها فى الدهر دوماً   ويذكر في الحياة وفي الممات
حماها ربنا من كل سوء   بعز دآئم طول الحياة
وضاعف أجرها فى دار خلد   ووفاها جزاء القانتات
ولما ان تكمل قيل أرخ   الا يانم حي على الصلاة

ومن ذلك ما كتب على باب المصلى الاوسط المقابل لجهة الغرب وهو:

ذا جامع مؤسس   على تقى الرب المبين
بنت الوزير احمد   بنته للدين المتين
(عادلة) كريمة   مخدومة للمؤمنين
دامت بعز دآئم   فى حفظ رب العالمين
تأريخه جآء الهنا   فنعم دار المتقين

وعلى الباب القبلي أبيات تركية بمضمون الابيات السابقة ومعناها فلا حاجة الى ذكرها . وقد كتب على صدر المنبر (قال النبي صلى الله عليه وسلم:

لا عز الا بطاعة الله) . وعلى المحراب (بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتآء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

وهذا الجامع هو الى اليوم مشيد الاركان رصين الجدران تقام فيه الجمع والاعياد. وفيه مدرس وخطيب وامام ومؤذن وخدم مفروش مصلاه باحسن الفرش . وله اوقاف كثيرة . ودار القضآء التي أمامه من اوقافه وقفتها مؤسسة المسجد محفلا للشرع اما خزانة الكتب التي كانت معدة للمدرسة فلم يبق فيها اليوم شيء منها وعلى ما سمعت ان بعض الكتب في بيت المتولي قد لعبت بها الارضة حتى اصبحت لا ينفع بها .

جامع العادلية الاصغر

هذا المسجد بنته السيدة عادلة (بنت احمد باشا والي ايالة بغداد) التي سلف ذكرها قريباً . وهو مسجد صغير حسن الوضع قرب الجسر اليوم فى الجهة الشمالية منه وهو من المساجد التي تقام فيها الجمع والاعياد وسائر الصلوات. وقد تداعى للسقوط فجدد عمارته متولي أوقافه سنة ثمان عشرة بعد الثلاثمائة والالف وكان على باب المسجد أبيات منقوشة فى المرمر منها ما محي ومنها هذه :

لقد اشبعتها الحادثات وردهـــا * الى صدف الاجداث بعد السنا الردى
فعمر أهلوهـــا لها اي مسجد * على غـير تقوى الرب لن يتشـيدا
أمان ولا خوف ورشد ولا عمى * وخير ولا ضر به شرق الهـــدى
فصفوا به صفوا القلوب ولم يزل * يراه لابصـــار المصلين اثمدا

... رها بيسان باب دخوله * لنا وجلت ماء لظمآن من صدى
هنــاك اقتباسيانه الذكر ارخوا * لرب السما الهادي ادخلوا الباب سجدا

وبعد عمارة المسجد , فعت هذه المرمرة من صدر الباب . وفي هـذا المسجد اليوم خطيب وإمام ومؤذن وخادم .

جامع العاقولي

هو مسجد قديم العهد واقع فى المحلة العاقولية قرب الحيدرخانة من جهته الشرقية بني سنة ٧٢٨ هـ وفيه ساحة رحبة ومصلى واسع على شماله منارة بيضاء مرتفعة وايوان كبير وامامه رواق وعن يمينه مصلى صغير للشافعية .

ولتطاول الايام عليه خربت فيه عمارات كثيرة وأعادها أهل البر والمعروف. والذى علمته من الكتابات التي على جدرانه ان ممن عمره وأصلحه محمد باشا أحد أمرآء الدولة ورجالها وذلك سنة خمس وتسعين بعد الالف ومنهم عمر باشا أيام ولايته على بغداد فانه تولاها من سنة سبع وسبعين ومائة والف الى سنة ست وثمانين ومائة والف ومنهم سليمان باشا كتخدا احمد باشا وكان من ولاة بغداد تولاها من سنة ثلاث وستين ومائة والف الى سنة خمس وسبعين ومائة والف من الهجرة

وهذه الكتابات كلها تركية وهى مثبتة فى الجدران ثم انهدم المصلى سنة بضع وسبعين ومائتين والف وبقي خاوياً على عروشه الىسنة تسع عشرة بعد الثلاثمائة والالف فقيض له من سعى فى عمارته وتجديده واستحصل امراً سلطانياً فى ذلك فجددت عمارته وبنيت قبة مصلاه على اربعة عمد من الرخام ، وبني امامه رواق واسع معقود سقفه بالآجر والجص ، وفرشت ارض المسجد بالآجر ايضاً ؛ وترك مصلى الشافعية الذى كان غربي المسجد وطليت جدرانه بالجص والبورق ، وصبغت سواريه وخشبه ، وكملت العمارة سنة

العشرين بعد الثلثمائة والالف ، وابتدئت الصلاة فيه يوم الجمعة لخمس عشرة ليلة خلت من شهر رمضان تلك السنة وقد حضر والي البلدة وهو يومئذ نامق باشا الصغير والامراء والاعيان وكثير من اهل العلم بعد ان فرش المصلى بالحصر والبسط النفيسة ولم يزل الجمع والاعياد والصلوات المفروضة تقام فيه. وهذا المسجد كان منزلا يسكنه الشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد بن علي العاقولي مدرس المستنصرية ببغداد درس فيها نحو اربعين سنة وباشر نظر الاوقاف وعين لقضاء القضاة فلم يقبل وأفتى من سبع وخمسين وستمائة الى ان مات وذلك احدى وسبعون سنة ، وهذا شيء غريب جداً . وكان قوي النفس له وجاهة في الدولة كم انكشفت به كربة عن الناس بمساعيه الجميلة ، وانتهت اليه رياسة الشافعية ببغداد قال عبدالحي في تاريخه (شذرات الذهب)[1] مولده في رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته في شوال ببغداد وله تسعون سنة وثلاثة اشهر ودفن بداره وكان بها فيها على شيخ وعشرة صبيان يقرأون القرآن ، ووقف عليها املاكه كلها رحمه الله تعالى وايانا انتهى . و بيته هذا الذي دفن فيه

(١) اقول : وترجم له تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى م ٦ ص ١٠٧ ترجمة مقتضبة جداً واخطأ في تاريخ مولده فقال ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة . والصواب ما نقله الاستاذ المؤلف عن شذرات الذهب ويؤيده ما جاء في مختصر ذيل تأريخ ابن النجار من مخطوطات الخزانة النعمانية بجامع مرجان .

وقد كنت اطلعت على ترجمة حفيده محمد بن محمد بن عبدالله في بغية الوعاة ص ٩٧ ط مصر فظللت زمناً أحسب أن الدفين في هذا المسجد هو هذا حتى رأيت الكتابة المنقوشة على القبر فاذا الدفين هو جده عبدالله ويؤيد صحة ذلك ان الشيخ عبدالله دفن في داره ، وحفيده في مقبرة الشونيزي ومقبرة الشونيزي الكبير ومقبرة الشونيزي الصغير كلتاهما في الكرخ (انظر ص ٢٩ من مناقب بغداد) التي نشرناها سنة ١٣٠٢ هـ .

هو المسجد، وقبره الى اليوم ظاهر وعليه قبة وعلى القبر صندوق من خشب نقش فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون * هذا ضريح المفتقر الى الله تعالى عبدالله بن محمد بن علي العاقولي ولد في رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة توفي يوم الاربعاء رابع[1] عشر من شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم) .

وقد وجدت كتابة في تأريخ العمارة الاخيرة لم تحرر بعد على الحجر وهي:

(بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين أمر بعمارة مصلى هذا المسجد المبارك المعقود على دعائم أربع من الرخام مع رواقه البديع النظام «وهو مسجد شيخ الاسلام الامام العارف بالله الشيخ عبدالله العاقولي عليه الرحمة والرضوان » إمام المسلمين وأمير المؤمنين الغازي عبدالحميد خان ابن السلطان عبدالمجيد خان خلد الله دولته على تعاقب الازمان . وذلك سنة العشرين بعد الثلثمائة والالف الهلالية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما) .

جامع الشيخ عبد القادر الجيلي

واقع في محلة (باب الشيخ) المنسوبة اليه والمعروفة في التاريخ بمحلة باب الازج . وهي اليوم في شرقي الرصافة من بغداد .

(١) هكذا وفي مختصر ذيل تاريخ ابن النجار المخطوط « ...وتوفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شوال سنة ٧٢٨ » وفي طبقات الشافعية للسبكي « ... ومات في ذي القعدة سنة ٧٢٨ » . ولعل ما جاء في مختصر ذيل تاريخ ابن النجار أصح وأولى بالاعتبار .

وهذا المسجد الجامع اظله جناح البـاز وعشعش فيـه نسو ر الحقيقة وطواويس المجاز لم يزل مناخ العابدين ومأوى الراكعين والساجـدين فيه مصلى يسع من المصلين الألوف ويحتوي على كثير من الصفوف اقام فيـه جموع من المتوجهين الى الدار الآخرة ولم تزل أعينهم في عبادة مولاهم ساهرة وكان هـذا المسجد أول الامر مدرسة للشيخ أبي سعيد المخزومي قدس سره وبعد وفاته جلس فيها تلميذه القطب الرباني الشيـخ عبد القادر الكيلاني قدس سره واضاف اليها وعمرها واعانه الاغنياء بأموالهم والفقراء بانفسهم ثم تصدر فيها بالتدريس والوعظ والتذكير وقصد بالزيارة والنذور من الآفاق وصنف واملا وسارت بفضله الركبان ولما توفي دفن في رواقها ليلا ولم تفتح بابها حتى علا النهار فاسرع الناس للصلاة على قبره وزيارته رضي الله تعالى عنه ثم آل الامر بها أن اتخذت مسجداً من اعظم مساجد بغداد فانه واسع جـداً وعلى المصلى قبة بديعـة الشكل متقنة الهندسة مبنية بالحجر الكاشاني المصنع بالاصابيغ المختلفة مع النقش الذي يحير الناظرين ويعجب الرائين يحيط بها المآذن وقد احاط بالمصلى رواق واسع عقد على اساطين الرخام الابيض ووسط الساحة مصلى صيفي مرتفع عن أرض المسجد نحو ذراع محيط بهذه الساحة حجر كثيرة يسكنها الغرباء والفقراء ولهم جرايات وطعام يقوم بكفايتهم وقوتهم من غلة اوقاف ساكن الجنان السلطان سليمان التي اوقفها على الحضرة القادرية وذلك عند مجيئه الى بغـداد سنة احدى واربعين وتسعماية وهذه الاوقاف يتولاها نقيب اشراف بغداد ولما شرف بغداد السلطان مراد خان الرابع عليه الرحمة والرضوان خـدم هـذه الحضرة ايضا بعمارة وجرايات ولم يزل هذا المسجد المبارك مع الحضرة المقدسة محط انظار سلاطين آل عثمان اعلى الله شأنهم وخلد سلطانهم الى منتهى

العوران كما هو شأنهم مع سائر المشاهد المقدسة وبيوت الله المعظمة ولم يزل القائمون مقام النقابة الشريفة يستجلبون الادعية الخيرية لهم بما يبذلونه من المساعي المشكورة والاعمال المبرورة في خدمة هذا المشهد المقدس والبيت المعمور ومن يلوذ به من أهل الله من الفقراء والاتقياء الذين هم لو اقسموا على الله الابروا وفي عصرنا هذا جدد عمارته نقيب الاشراف وفخر آل عبد مناف صاحب السماحة والسيادة السيد عبدالرحمن افندي الكيلاني المحض واستجلب له الفعلة والاساتذة والعدد وسائر لوازم العمارة من رخام ملون الين من كف الفتاة والطف من صفحة المرآت وزخرفه بما يعجب الناظر ويبهر الخاطر حتى أن من يدخله يدخل الى روضة من رياض الجنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين من الاعمال التي يرتضيها الكتاب والسنة وعلى باب المصلى الاوسط كتابات ناطقة بما جرى من العمارة وتواريخ ما كان ذلك فيه من الاوقات وعلى باب المسجد :

أفلت شموس الاولين وشمسنا　　　أبداً على فلك العلى لا تغرب

وقوله

أنا بلبل الافراح املأ روحها　　　طرباً وفي العلياء باز أشهب

وهما من أبيات منسوبة لحضرة الشيخ قدس سره . وهي:

ما في المناهل منهل مستعذب　　　إلا ولي فيه الألذ الأطيب

او في الوصل مكانة مخصوصة　　　إلا ومنزلتي أعز وأقرب

وهبت لي الايام رونق صفوها　　　فحلت مناهلها وطاب المشرب

وغدوت مخطوباً لكل كريمة　　　لا يهتدي فيها اللبيب فيخطب

أنا من رجال لا يخاف جليسهم　　　ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

قوم لهم في كل مجد رتبة علوية وبكل جيش موكب

أنا بلبل الافراح املأ دوحها طرباً وفي العلياء باز أشهب

اضحت جيوش الحب تحت مشيئتي طوعاً ومهما رمته لا يعزب

أصبحت لا أملا ولا انسية ارجو ولا موعودة أترقب

مازلت أرتع في ميادين الرضى حتى وهبت مكانة لا توهب

أضحى الزمان كحلة مرقومة تزهو ونحن لها الطراز المذهب

أفلت شموس الاولين وشمسنا أبداً على فلك العلى لا تغرب

ولاشك أنه قدس سره أهل لهذا الفخر وذلك من باب التحدث بنعمة ربه الحرية بالاظهار والشكر ومرقده الشريف اليوم على يمين المصلي من جهة الشرق فاذا دخل الزائر رأى انوار المهابة مشرقة عليه وقد ارسل السلطان الغازي عبد المجيد خان عليه الرحمة والرضوان قطعة من الستر النبوي لتوضع على صندوق الباز الكيلاني قدس سره والصحيح ان المرسل لها والده المبرور ضوعفت له الاجور وقد انشد الفاروقي الشاعر الشهير هذه القصيدة الغراء في ذلك وهي :

حل ستر به الضريح تجلل نحوى الفخر مجملا ومفصل

جاور الحجرة الشريفة دهراً فغدا من سرادق العرش أفضل

كم تغشى جبريل فيه واسرا فيل ميكائيل فيه تزمل

من لداود ثوبه قد تسربل وخليل الرحمن لو عد تخلل

هو ستر عار من العار من ا... حى عليه يوم القيامه مسبل

سندسي الطراز في خاتم الرسل عدنا معلم الحواشي مكلل

هو لو لم يكن كتاباً لمتق | ليلة القدر ما عليه تنزل
وبدار السلام حل بحل الـ | أمن واليمن والفخار المثئل
سبحت دجلة وكبرت الزورا | ء بجداً وجانب الكرخ هلل
ورجال العراق فوجاً ففوج | قد أتوه لثموه في خير محفل
حملوه على الرؤس ويا عز | رؤس غدت للملك تحمل
وقياماً بحقه كم فريق | من اولي العزة احتراماً ترجل
هو للزائرين في حط وزر | عند مولاه ضامن يتكفل
كل من نال قبلة منه امسى | صومه عند ربه يتقبل
كم خواف من حضرة الماز لاحت | حين وافي ولا قوادم أجدل
وتجلى الله المهيمن لما | وضعوه على ضريح مبجل
وتغشت ابصارنا بسناء | بعيون التعيين قد كان اول
فتمسك به وقل يا ابا الطيـ | ـب هذا من طيب ربك منـدل
قائلا يا ابا البتول أغثني | والى ربك العلي تبتل
فعليه صل وسلم وبارك | وتكرم يا ربنا وتفضل
ما هي الوتق بالصلاة وما البر | ق اضا بالسلام والرعد جلجل

والكلام في وصف هذا المعبد الشريف والمشهد المنيف لا يسعه في مثل هذا المقام وما ذكرناه كاف في افادة المقصود والمرام .

وهذا آخر ابيات الشيخ ما يدل على علو مقامه الموفور ،

أصبحت لا أملاً ولا أمنية * ارجو ولامو عودة أترقب
مازلت ارتع فى ميادن ارضا * حتى وهبت مكانة لاتوهب
اضحى الزمان لحلة مرقومة * تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفلت شموس الاولين وشمسنا * أبداً على فلك العلى لاتغرب

جامع علي افندى

هو مسجد كبير واسع المصلى وعليه قبة وحولها مئذنة . ساحته فسيحة.
وهو فى (البارودية) غربي الرصافة تقام فيه اليوم الجمع والاعياد وسائر الصلوات
بانيه علي افندى من أكابر رجال الدولة ، وكان دفتر دار بغداد ، وفى
ايام وظيفته بنى هذا المسجد وذلك سنة ١١٢٣ ﻫ

جامع الشيخ عمر السهروردى

قريب من سور[1] الرصافة عند الباب الاوسط[2] فى وسط المقبرة المعروفة

(١) زعم الأب أنستاس أحد الرهبان ببغداد في مجلة لغة العرب (م٣ ص٥٦١) أن هذا السور هدم سنة ١٣٠٥ بأمر سري باشا والي بغداد ، والحق أنه هدم سنة ١٢٨٧ﻫ بأمر مدحت باشا حيث أراد توسيع بغداد وتعميرها فتهافت الناس على هدمه والانتفاع بآجره ، وبين هدمه ومجيء سري باشا نحو ١٨ عاماً فلايدله في ذلك

(٢) زعم أنستاس هذا أيضاً (لغة العرب م ٣ ص ٥٦١) أن على هذا الباب المسمى اليوم بالباب الوسطاني كتابة مسطورة على جبينه . . . وليس ثمة كتابة وانما هي على الطلسم الذي اتخذه الاتراك مخزناً للبارود والقنابل ونسفوه ليلة سقوط بغداد بيد البريطانيين وقد احتلط عليه الأمر فظن ذاك هذا وقال ماقال « رجماً بالظنون » ولعمري لو كان المؤرخون كلهم على شاكلة هذا الانا اوهذا الأب لقلنا على التاريخ العفاء واليك نص ما كان مكتوبا على الطلسم نقلا عن مجموعة خطية لاحد الفضلاء وعن كتاب فى آثار العراق العتيقة لصديقنا المستشرق الفرنسي الشهير لويز ماسينيون [illegible] وبينهما اختلاف فى التاريخ وبعض الالفاظ : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و [illegible] ربنا تقبل منا انك أنت

في التاريخ بالمقبرة الوردية ، وهو قديم العهد رحب الفناء، واسع المصلى . تقام فيه الجمع والاعياد ، فيه مدرسة وحجر ، والمدرسة مطلة على الصحراء ، وقد أحاطت المقابر بهـذا المسجد من جميع جوانبه ، وامتلأ صحنه منها . ولم تزل الايدي تتداول عمارته واصلاحه .

وفي السنة الثالثة والسبعين بعد المائتين والالف أحدث فيه اسماعيل باشا والي شهرزور بعض العمارات منها طارمة في الجهة الشمالية منه وطاق مرتفع مشرف على الصحراء . وقد أرخ هذه العمارة عبدالباقي العمري بتسعة ابيات كانت مكتوبة على الجدران فخربت بخرابها ومنها :

إن اسمـاعيل والي شهروز * صاحب التدبير والرأي المسدد
سابقاً كان بنى طارمـة * خنصر الفضل عليها راح يعقد
وتصدى لاحقاً يتبعها * ببنا طاق لأوج المجد يصعد
في مقام السهروردي أرخوا * حجر اسمـاعيل للعز تشيد

وعلى المدرسة ايضاً ابيات على القاء من هذا النوع اسقطناها لركنها وسخفها .

وفي سنة ١٣٢٠ هـ أعيدت عمارة قسم منه بعد ان تداعت للسقوط ، واقيمت منارته بالحجر الكاشاني الملون .

وفي هذا الجامع سقاية يجرى اليها ماء من دجلة بقناة لبعده عنها ، وفيه قبر الشيخ شهاب الدين عمر الصوفي السهروردي مصنف كتاب العوارف .

....

السميع العليم ، هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كل الأنام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وحجة الله عز وجل على الخلق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين ولا زالت دعوته الهادية على بقاع الحق مناراً والخلائق لها اتباعا وأنصاراً وطاعته المفترضة للمؤمنين اسماعاً وأبصاراً (وأنظاراً) . وافق الفراغ في سنة ثمان وعشرين (ثمان عشر) وستمائة وصلواته (وصلوات الله تعالى) على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين .

وكان فقيهاً شافعي المذهب كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج به خلق كثير من الصوفية وكان شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان له مجلس وعظ عليه اقبال كثير ، وذكر بعضهم أنه أنشد يوما على الكرسي :

لاتسقني وحدى فما عودتني * إني اشح بها على جلاسي
انت الكريم فما يليق تكرما * ان يعدم الندماء دور الكاسي

فقيل تواجد الناس لذلك وقطعت شعور كثيرة وتأدب جمع كثير !!
وذكر ابن خلكان عنه غرائب كثيرة [1]

ولد سنة ٥٣٩ هـ بسهرورد (بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء) . بلدة قريبة من زنجان بالجبال ، ونشأ بها الى ان بلغ قريباً من ست عشرة سنة ثم توجه الى بغداد وصحب عمه أبا نجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ ، وذكر البعض انه صحب ايضاً الشيخ عبدالقادر الجيلي ، ثم انحدر الى البصرة وحصل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف .

وفي كتاب (تاريخ العيون) مانصه : « وفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة توفي الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي ، ونسبه ينتهي الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وكان شيخاً صالحاً ورعاً صحب عمه الشيخ نجيب الدين ، وأخذ عنه التصوف والوعظ ، وكذلك أخذ عن الشيخ عبدالقادر الجيلي عليه الرحمة ، وكان كثير الحج وربما جاور في بعض حججه ، وكان مشايخ عصره يكتبون اليه من البلاد فتاوى يسألونه عن شيء من احوالهم ! ولما توفي دفن قريباً من الباب الاوسط داخل بغداد وعقد على قبره ميل وبحذائه جامع تقام فيه الجمعة » .

. . .

(١) ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١ .

وأقول : إن للميل الى اليوم على حاله وكذلك الجامع فانه الى اليوم تقام فيه الجمع والاعياد كما قدمناه . ويفهم من ذلك ان الجامع كان موجوداً قبل دفن السهروردي بجنبه ، والميل اليوم يسميه أهل بغداد (المنتول) وهو قبة مخروطية الشكل من أبدع البناء وأغربه

جامع الحاج فتحي

هو مسجد صغير واقع فى محلة الحاج فتحي . فيه مصلى وساحته واسعة، وليس فيه من الزخرف شيء . وهو من المساجد العامرة باقامة الصلوات فيه . وفيه إمام ومؤذن وخدم ، ولم اجد على جدرانه كتابات تعرفنا ببانيه ، ولعله من المساجد القديمة [1]

جامع الفضل

هو من الجوامع القديمة العهد فى جانب الرصافة ، واسع المصلى رحب الفناء تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة وتراه كل وقت مزدحم

---

(١) جددته وزارة الاوقاف عام ١٣٤١ هـ وجهزته بمصابيح الكهرباء ، وقد كان مصلاه مقابل الباب بجملته عن شماله وقدرته يسع نحو مائتي مصلي . وهو اليوم تقام فيه الجمعه .

وقد سألت بعض من فيه من الشيوخ والكهول عن الحاج فتحي الذي ينسب اليه المسجد والمحلة التي حوله قالوا : كان على ما سمعنا درويشاً جاء من الموصل واقام فى هذا المحل وصار له مريدون فبنى هذا المسجد ، ولما توفي دفن عند الباب عن شمال الداخل ، وقد جعلت الاوقاف قبره في عمارتها الاخيرة حانوتاً ، هكذا قالوا والعلم عند الله ، ثم عند وزارة الاوقاف !

وقد وجدت عند بابه سقاية كتبت فوقها ستة ابيات على الماء سقيمة التركيب مختلة الوزن . عرفت منها ان محل هذا المسجد كان قفراً فاتخذه الحاج فتحي مسجداً عام ١١٦٩ هـ .

وحجر كثيرة في شرقيه وشماليه ، وفيه مدرسة ومدرس وخطيب وامام وخدم . وليس على جدرانه اليوم من الكتابات المتقدمة ما يعرفنا بمنشئ عمارته . وقد تداعى للسقوط أيام ولاية سليمان باشا والي بغداد فجدده وأحيا رسومه وذلك سنة ١٢١٠ هـ ورأيت في بعض المجاميع أن سليمان باشا تولى الامارة في بغداد سنة ١١٩٣ هـ بعد اختلاف أيدي الولاة عليها ، وقد آلت الى الخراب وتسلط عليها الاراذل وشراذم الاعراب ، فبسط رداء العدل وأحسن السياسة وقطع دابر المفسدين ، ووجه همته الى العمران فأنشأ المدارس وعمر المساجد ورتب الوظائف وتعهد اهل العلم والصلاح . وقد ترجمنا له عند ذكر جامع الخلفاء بأوفى من هذا ، فانظره [1] .

وفي هذا الجامع على ما يقال قبر محمد الفضل فلذلك سمي بجامع الفضل وهو على ما ذكر بعضهم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . ومحمد الفضل والسيد سلطان علي أخوان .

جامع القبلانية

جامع رحب الفناء ، رصين البناء ، واسع المصلى ، أنيق الشكل . وهو في جوار المدرسة المستنصرية واقع منها في الجهة الجنوبية ليس بينهما سوى جادة السوق . وقد كانت على جدرانه كتابات كثيرة اندرست لما كان فيه من التبديل والتغيير . وفي سنة ١٢٠٥ هـ جدد عمارته والي بغداد سليمان باشا الكبير كما نطق بذلك الشعر المكتوب على الحجر في باب المصلى الاوسط وهو :

بنى الجامع الأعلى سليمان ذو العلى * فأضحى بحمد الله أزهر ساطعا

(١) ص ٤٠

تقوم رجال فيـــه لله أخلصوا * فلم تلق الا ساجداً فيه راكعا
ولما اعـــدت للصلاة صفوفه * وقام بأولاها الامام مسارعا
هناك دعا داعي الفلاح مؤرخاً * سليمان قد شيدت للوحي جامعا

ولعل تسمية هـذا المسجد بالقپلانية لانتسابه الى قپلان مصطفى باشا (وكان والي بغداد من سنة ١٠٨٨ هـ الى سنة ١٠٩٢ هـ) فانه هو الذي رفع قواعده يومئذ على ما نطق به هذا التاريخ وهو :

[بسم الله الرحمن الرحيم ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا * قد أمرنا من أمره مطاع في العراق، نادر المثيل في الآفاق، وارث المكارم عن آباء كرام، وأسلاف أعزة فخام، والي الخطة العراقية، ومتولي ما فيها من الامور الكلية والجزئية، من عظمت حسناته، وعمت بركاته ومبراته، مصطفى باشا والي إيالة بغداد الشهير بقپلان، تقبل الله تعالى منه صنائعه الحسان، باقامه هذا المسجد العديم النظير، وعمارته بأحسن تعمير، فمن الله تعالى بالختام، حسب المطلوب والمرام، وذلك سنة التسعين بعد الألف من هجرة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام] .

وفي هذا المسجد مدرسة وخزانة كتب غير أنها اليوم لا مدرس فيها [1] ولا تدريس وليس فيها الكتب التي كانت موقوفة عليها . فقد لعبت بها أيدي السراق حتى لم تبق منها شيئاً مذكورا .

وفي هذا المسجد تقام اليوم الجمع والأعياد وسائر الصلوات، وفيه إمام وخطيب ومؤذن وفراش وخادم، وفيه واعظ يعظ الناس في شهر رمضان . وادارة الأوقاف قائمة بسائر ضرورياته وجميع مقتضياته .

.....

(١) بعد انتأليف بسنتين عين للمدرسة مدرس وعمرت له المدرسة ووضع فيها بعض الكتب الموقوفة (المؤلف)

وفى هذا المسجد مرقد أبي الحسين أحمد القدوري الفقيه الحنفي الشهير[1] وكان من رؤساء المذهب توفي سنة ثمان وعشرين وار بعمائة ودفن فى بيته[2] ثم نقل منه ودفن فى جوار الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي فى شارع المنصور فى جانب الرصافة ، وهو اليوم فى هـــذا المسجد ومعه جمع من قبور بعض الصالحين .

جامع الكريمة

هذا مسجد لطيف الوضع ، متقن الصنع ، واقع فى محلة رأس الكنيسة ، فيه مصلى صغير يسع نحو ثلاثة صفوف كل صف يحتوي على نحو ثلاثين وعلى المصلى قبة صغيرة وحولها منارة قصيرة مطلة على الطريق وأمام المصلى صفة لطيفة . وبناؤه بالحجارة المهندسة من الآجر الأصفر . وفيه خزانة كتب اشتملت على فنون شتى ، وهي فى الطبقة العليا .

بناه كامل بك بن الحاج أمين الزند وكان (الحاج أمين) مفتي الحنفية ببغداد ، ثم صار كتخدا لوالي بغداد ، ثم سافر الى الأستانة وصار من الاعيان ورجال الدولة هناك ، وكان ذا أخلاق حميدة وحياء وورع وحلم ، وكان محباً للخير وعمل البر حتى أنه لما ختن أولاده فى بغداد ختن معهم اربعمائة ولد من الأيتام والفقراء وكساهم أحسن اللباس ؛ وفى ذلك يقول الشاعر السيد عبد الغفار الأخرس مادحاً ومهنئاً :

ليهنك ما بلغت من الاماني * فلم تبرح بايام التهاني

تسر وقد يسر الناس طراً * ببيض معالك الغر الحسان

(١) ترجمته فى وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠ وفى الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ص ٣٠ .

(٢) فى درب بنى خلف

وفيما قد فعلت جزيت خيراً * وهل تجزى سوى خلد الجنان

فعلت الواجب المأمور فيه * وما سن النبي من الختان

وأولمت الولائم فاستلذت * لها الفقراء من قاص وداني

وأكثرت الطعام بهن حتى * لقد ضاق الطعام عن الجفان

وجاء الناس أفواجاً اليها * فلم يعرف فلان من فلان

شرابهم شراب سكري * ومما يشتهون لحوم ضان

لقد قيل الطعام فلم تدان * وقد قيل السماع فلم تدان(؟)

بذكر الله انك قبل هذا * قد استغنيت عن كل الاغاني

وما تلهو عن السبع المثاني * بأصوات المثالث والمثاني

ختنت بنيك في أيام سعد * بمعتدل الفصول من الزمان

واربعمائة ختنت وكانت * يتامى لم تسنن بالختان

كسوتهم الملابس فاخرات * فراحوا مثل روض الاقحوان

فمن خضر ومن صفر وحمر * كأمثال الشقيق الارجواني

كأزهار الربيع لها ابتهاج * وقد سيقت حيا المزن الهتان

أتيت بها من الصدقات بكراً * وما كانت لعمرك بالعوان

أردت بذاك وجه الله لاما * يقال ويستفاض على اللسان

أحبك لا لمال أقتنيه * ولا طمع بجود وامتنان

ولا أثني عليك الخير الا اعـ * تقاداً باللسان و بالجنان

وكيف وأنت للاسلام ركن * تشاد به القواعد والمباني

اعز الله فيك الدين عزاً * ولم يك قبل ذلك بالمهان

وكنت الروح والمعنى المعالي * وقل [illegible] عن روح المعاني

تقول الحق لا تخشى [illegible] * و[illegible] عن القالة بالجبان

ولا داريت أو ماريت قوماً * برفعة منصب وعلو شان

ولم تحكم على أمر بشيء * الى ان يستبين الى العيان

فتدرك ماتحاول بالتأني * وان رمت الجميل فلا تواني

محمد الامين أمنت مما * تحاذره وانك فى أمان

كفاك الله ألسنة حداداً * لها وخز ولا وخز السنان

ولم اسمع مقالا فيك إلا * مقال الخير آناً بعد آن

بقيت لنا و للدنيا جميعاً * وكل غير وجه الله فاني

وقد جمع المفتي كتباً كثيرة فى فنون مختلفة بخطوط حسنة وكان يحب ان يفرد لها محلا من منزله وتكون خزانة الكتب فيه وان يعين للكتب قيما يحفظها لينتابها المحصلون و يطالعها المطالعون فتوفي ولم يتيسر له هذا المقصد .

وكان ولده كامل بك خير خلف له وكان يعلم مقصده فجاء الى بغداد سنة ١٣٢٠ فعمر قسما من داره هذا المسجد الذى يقل نوعه ، فى حسن وضعه، و رشاقة هندسته ، واتخذ فيه خزانة للكتب فى الطابق العلوى منه : حجرة داخلة وضع فيها الكتب ، وأخرى خارجة للطالعين .

و قد وضع الكتب فى بيوت من خشب من بساط الارض الى مناط السقوف وفى السنة الحادية والعشرين بعد الثلثمائة والالف كملت عمارة المسجد وزخرفته من بياض واصباغ مختلفة . وأنشأ ايضاً سقاية يشرب من زلال عذبها أبناء السبيل ، وقد كتبت على باب المسجد هذه الابيات المشتملة على ختام العمارة و تاريخها ، وهي :

ذا جامع فيه رياض التقى * مزهرة فليعمل العامل

مكتبة فيه لأهل الهدى * ينال من جوهرها الآمل

وماؤه العذب غدا كوثراً * فليس يحكيه الحيا الهاطل

شيده محتسباً موقنـــاً * سليل صدر العلما الكامل

على التقى مذ تم أرخته * قد نار هذا المسجد الكامل

وفي يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شعبان من هذه السنة افتتح المسجد وحضر لصلاة الجمعة فيه والي بغداد وجمع من الامراء وجملة من العلماء والاعيان ورجال الدولة فخطب نائب الباب وبعد الفراغ من الصلاة قرأ أحد الحاضرين قصة المولد النبوي وعند الختام قام الحاضرون مستقبلين القبلة ودعوا لخليفة السلمين ولمن بنى المسجد ولكافة الموحدين. ثم وزعوا عليهم السكر ودارت عليهم كؤوس شرابه وكان ذلك يوماً مشهودا.

ثم رتب باني الجامع خطيباً وإماماً ومؤذناً وخدماً وقيماً للخزانة وفرش المصلى بالحصر وأحسن البسط.

جامع المرادية

من مساجد الرصافة الشهيرة وهو عن (جامع الازبك)[1] نحو غلوة سهم عن شمال الداخل من باب بغداد.

صدر الأمر السلطاني بتجديد عمارته وإعادة بنيته في السنة التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة والالف فحفروا قواعده الى أن ظهر الماء، واختط على أحسن وضع وابهج صنع، ورفعوا قبة مصلاه على أساطين من رخام، وعمد كأنها عرآئس قيام، توافقت قدوداً ورصانة، وتناسبت تدويراً وثخانة، يقدم المصلى رواق ممدود. وحول القبة مئذنة شامخة مبنية بحجر. اذا اردت معرفة أصباغه فطالع روضة الربيع تعرفها بالمقايسة عليها. وقد تمت هذه العمارة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة الف في أواخر شعبان وساحة الجامع واسعة لطيفة وقد فرشت أرض المسجد كلها بالآجر المهندم ثم فرش المصلى بأحسن

(١) ص ٢٧

الفراش والبسط .

وفيه خطيب وامام وجملة من الخدم والمؤذنين لهم جرايات من الاوقاف السلطانية وادارة الاوقاف قائمة بشؤونه اتم قيام .

وقد أنشد الأديب الشيخ معروف البغدادي عند ختام العمارة هذه الأبيات :

قف عند مرتفع البناء مشيد * وأعد لرؤيته اللحاظ وردد
تجد البدائع قد نظمن قلائداً * نضدت بلبة جامع متجدد
في وجنة الزوراء لاح كأنه * خال يلوح على خدود الخرّد !
أضحت عيون الدين فيه قريرة * مذ جددوه وسرّ كل موحد
وغدت تقام به الصلاة فكم ترى * للمؤمنين به قيام تعبد
بني المصلى منه ابدع بنية * جمع البهاء بصنعها المتفرد
يبدو لك المحراب فيه كرصعة * في خد أغيد باسم متورد !
نحتت سواريه المتينة مرمراً * نحت الدمى صفة بغير تردد
عقدوا من الآجر فوق رؤوسها * عقداً فقام ومثله لم يعقد
تعطي الرصانة مشمخر بنائه * ثقة بأن يبقى بقاء مؤبد
وتروق فيه الناظرين منارة * حضراء تحسبها عمود زبرجد
رفعت الى جو السماء كأنها * كف تشير الى احتقار الفرقد
أمر المليك بأن يجدد بعد أن * قد كاد ينقض انقضاض تبدد
عبد الحميد خليفة الرحمن في * ملك الى أبد الزمان مخلد

والجامع منسوب الى مراد باشا احد وزراء الدولة العثمانية كان والياً في بغداد من قبل السلطان سليم الثاني تولى ولاية بغداد سنة ٩٧٨ ، وكان مقدماً شجاعاً كريماً محباً للخير تقيا صالحا ، وعند قدومه الى دار السلام بنى هذا

التركي بقوله :

سلطان جوان بخت سليم اول شه عادل * كم دركاهنك خادميدر چرخ معلا
اول سرور اسلام خداوند ممالك * داراى عبادتكه دين وملجأ دنيا
بغداده بر اهل كرمى ايلدى والى * كـ قلدى انك همتى بو مسجدي انشا
پاشاى فلك قدر مراد اول كه ازلدن * لطف ايتمش اكا عز وعلى حضرة مولى

فضلى ديدى بو مسجد ايجوز صدق ايله تاريخ
كل مسجده اى پاك مراد ايله تمنا

وكانت هذه الابيات مكتوبة في صدر باب الجامع بخط حسن على الكاشاني فلما جددت الحكومة تعميره تخربت.

---

(١) هو محمد بن سليمان البغدادي حامل لواء الادب التركي في عهده . ولد في (الحلة) ونشأ ببغداد وتوغل في آداب اللغة الفارسية والتركية حتى صار اعظم ادباء عصره فيهما ويقول شمس الدين سامي في قاموس الاعلام (م ٥ ص ٣٤١٦) : انه اهل لان يدعى (علي شيرنوابي) الثاني ، ولما انتزعت جيوش السلطان سليمان القانوني بغداد من ايدي الصفويين سنة ٩٤٠ تقرب الى الصدر الاعظم ابراهيم باشا وقدم واسطته قصيدة الى السلطان سليمان الفتت نظره اليه فاصدر أمره بتخصيص راتب له فرتبوا له مرتباً من الاوقاف الاسلامية ثم اساء اليه بعض موظفي الاوقاف فرحل الى الاستانة يشكوهم الى رجالها .

وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل توفي سنة ٩٦٣ وقال صاحب قاموس الاعلام توفي سنة ٩٧٠ وابياته في تاريخ هذا الجامع تنقض القولين . ويقول محمد جلال بك مؤلف (عثمانلى أدبياتى نمونه لري) ان مولده سنة ٩٧١ وينقضه ما تقدم من تقربه الى رجال السلطان سليمان القانوني عام ٩٤٠ . وقبره معروف في (الحلة) واشهر آثاره ديوانه المشهور (بكليات فضولي) .

جامع مرجان

هذا مسجدمحكم البناء ، راسخ القواعد ، مشيد الارجاء ، مبني بالحجارة المهندسه . ذو طبقتين سفلى وعليا . فيه مصلى واسع وحجر فى الطبقة السفلى والعليا . وقدجعلهبانيه مدرسة حاكى بها « المدرسة النظامية » وجعل الحجر مسكناً لطلبة العلم وأجرى عليهم الجـرايات الوافرة ورتب لهم المدرسين على مذهبي الامام الشافعي والامام أبي حنيفـة رضي الله تعالى عنهما ، ووقف الاوقاف الكثيرة . وكان المصلى محل تدريسهم كما كان محل عبادتهم .

وقد كتبت شروط الوقف وما وقفه من العقارات على جدران هذه المدرسة وداخل المصلى بخط جميل وهـذا نص ما كتب على جدر المصلى والمحراب في الايوان :

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدلله الذى وفق المطيعين لعمارة أبنية بيوت العبادات ، وألهم المخلصلين إشادة أعمدة دور الطاعات ، ورفع ذكر الولاة بتأسيس قواعد معـالم المكرمات ، ودل أرباب السعادات على سلوك سبل الخيرات ، ومنح المحسنين بتشريف « إن الحسنات يذهبن السيئآت» ، وحباهم بال «إن المتصدقين والمتصدقات» . والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد المصطفى خير الانام ، وأصحابه مصابيح الدجى وبدور الظلام .

أما بعد فيقول المفتقر الى عفو الملك المنان ، مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن بدل الله سيئآته : إني هاجرت فى الارض مدة سنين ، وجاهدت فى الطول والعرض ذات شمـال ويمين ، متورطاً في مخاوف البر والبحر ، متورداً في متـالف البرد والحر ، حتى اداني الجد الصاعد ، وأدناني التوفيق المساعد ، فعلمت أن الدنيا دار الفرار ، وأن الآخرة هى دار القرار ، وأيقنت أن أولى ما أنفقت فيه الاموال ، وأحرى ما توجهت اليه همم الرجال ، ما كان وسيلة الى

أبواب رحمته محط الرحال ، وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال ، قال النبي عليه الصلاة والسلام «اذامات الانسان انقطع عمله الاعن ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له» والصدقة الجارية : هي الوقف ، فشمرت عن نية صادقة صافية ، وسريرة للخير وافية ، وشرعت في عمارة هذه المدرسة المسماة بالمرجانية وتوابعها المتصلات بعضها ببعض في زمن المخدوم الاعظم الدارج الى جوار الله وجنانه المستريح على أعلى غرفات جنانه الشيخ حسن نويان [1] أنار الله برهانه، وتممت في ايام دولة نور حدقته ، ونور حديقته ، المخدوم الاعظم الاعدل رافع رايات السلطنة على الافلاك ، ناصب غايات المملكة الى السماك ، ساحب ذيل الرحمة على الاعراب والاتراك ، محيي مراسم الملة المصطفوية ، ومزين شعار الدولة الجنكيزخانية ، شاه أويس خلد الله ملكه . ووقفت على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقه على مذهبي الامام الاعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، والامام الاقدم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي رضي الله تعالى عنهما، وقفاً على مصالحها كما شرح في الوقفية الموقعة بتوقيع قضاة الاسلام ، الموشحة بشهادة الامراء والوزراء العظام: بالريحانيين أربعة وأربعين دكاناً ، واثنتي عشرة عصارة في السوق الجديد المجاور المدرسة والصاغة ، وتسعة وعشرين دكاناً أخرى وثلاثة خانات ونصف خان احدهن [2] انشاء الواقف، ومواضع بالبدرية، وبالامشاطيين ثلاثة دكاكين، وبالمشرعة اربعة عشر دكانا وخانا جديداً من انشاء الواقف تقبل الله منه صالح الاعمال، وبالحلبة [3] ثلاثة عشر دكاناً وعصارة وخاناً فيه اثنتان وخمسون حجرة ،

---

(١) قال المؤلف رحمه الله : النويان في لغة ترك المغول والجغتاي يطلقونه على الملوك والسلاطين وأمثالهم .

(٢) في الاصل «احدهما» ، (٣) محلة فيها قبر عبد الوهاب بن عبدالقادر الجيلي .

وفى الجانب الغربي من محلة القصر داراً ومداراً وخاناً يعرف بالجوارى ، وفى الخليلات خان الزاوية ومدارا هي الآن من حقوق الخان المذكور ، وبالحريم دكان الكاغد ، ونهر عيسى ناحية عقرقوف ونصف القائمية وتل دحيم ، وبساتين بالحربية ، وبساتين بقرية البرك والجوبة وقراح الجاموس ، وبالصراة مزرعة ، وبالقاطون ناحيــــة زادمان ، وبجلولى من خاناباد النصف ومن بساتين بعقوبا وببوهريز النصف ، وبخانقين دورى ونصف دور جورى وأرحية الماء ، وبغمايا ، ودولتاباد ، وبساتين فى البندنيجين ، وبستان جديد ببوهريز انشاء الواقف ونهرخرناباد وسائر اراضيها ومزرعها المدشوهرارشته [1] وذلك بين جبل حمرين وخانقين وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً مخلداً محرماً بجميع ماحرم الله مكة والبيت الحرام والركن والمقام لازال ذلك كذلك الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، لايندرس بكرور الاعصار ، ولا ينطمس بمرور الادوار ؛ لايؤجر من متغلب ومتعزز وجندي ومن يخاف غائلته ؛ بل يؤجر من رجل مسلم معامل بتمكين الوالي على هـذا الوقف من مرافعته بين يدي الحكام وقضاة الاسلام [قادراً من أداء] مايتوجه عليه من ضمان الوقف . ومن فعل ذلك فتلك الاجارة باطلة وتصرفه حرام سحت ، ووصيتي الى حكام كل زمان وعصر واوان ، والى قاضي القضاة ببغداد ، أن يساعدوا الوالي على هذا الوقف واستخلاص الحقوق الواجبة لوقف هـــذه المدرسة ، وأن ينظروا اليهم بنظر الرحمة والرأفة فان الحاكم العادل في رعيتـه كالوالد الشفيق على ولده ، الا وان كل من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة ، وأن لايتعرضوا بمتولي هـذا الوقف ومستوفيه ومشرفه

....

(1) لعله « هزار نشته »

من استرفاع حساب أو نصب أو ترتيب ولا يداخلوهم في ذلك بشبهة من الشبه ولا يعتمد بهذه المدرسة ديواناً لفصل القضايا الشرعية أو ينازعوا فيه فان هذا الموضع موطن العلماء ومنزل الصلحاء . فطوبى ثم طوبى لمن استجلب ترحماً لنفسه وويل ثم ويل لمن صاحبته اللعنة في رمسه فبمثل ماتعاملون في حياتكم تعاملون في مخلفاتكم بعد مماتكم فان المكافأة من الطبيعة واجبة ، كما تدين تدان وكما تزرع تحصد، فان الدنيا غدارة غرارة وان طالت مدتها [فما طالت، وان نالت لصاحبها فما نالت] . ومن غير شروط هذه الاوقاف أو تصرف فيها خلاف ماشرطت في الوقفية فهو ظالم عند الله ألا لعنة الله على الظالمين وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومأواه جهنم وبئس المصير والحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وما ذلك على الله بعزيز. وشرط الواقف تقبل الله منه الحسنات، ولاواخذه بما كسبت يداه من السيئات، أن لايسلم من الاراضي الموقوفة من النواحي والبساتين والبسوط بالقرار الشمسي شيئاً أصلا ولا من المسقفات من الدكاكين والخانات والطواحين بالعرضة أبداً ، ومن فعل ذلك فحكمه باطل وشرطه مفسوخ، وتصرف من تصرف فيها بهذه الشبهة حرام سحت وفاعله مأثوم ملوم الخالق والخلق «فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم» وكتب في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الامة وكاشف الغمة النبي الامي العربي الهاشمي القرشي المكي المدني سيد المرسلين ورسول رب العالمين وخاتم النبيين وعلى آله الطاهرين الكرام وصحبه المنتخبين البررة وسلم تسليماً كثيرا] .

وما كتب في الحجر على ظاهر جدار المصلى في هذه المدرسة :

[بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح

له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أنشأه المفتقر الى مغفرة الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي[1] تقبل الله منه في الدارين طاعاته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم].

وما كتب في الحجر ايضاً قرب البئر في الجهة الجنوبية من المدرسة :

[بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد وآله وصحبه من بعده ، يقول الواقف مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي : من غير شروط أو قافي أو تصرف فيها خلاف ما شرطت لعن في الدنيا والآخرة وألحق « بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً » وشرطت أن لا يؤجر ماهو وقف من متعزز وجندي ومن يخاف غائلته ، وأن لا يؤجر اكثر من سنة واحدة ولا يعقد عقد اجارة قبل انقضاء العقد الاول ولا يوفر من الموقوفات شيء بوجه المرسومات بعض المرتزقة بها مما ذكر فهو ظالم عندالله. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم. وذلك في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة . كتبه أضعف عباد الله تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي أحسن الله اليه في الدنيا والآخرة] .

وما كتب على باب المدرسة من خارج أعني باب الجامع على ما هو مشهود اليوم

[بسم الله الرحمن الرحيم انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز

---

(١) كذا والمكتوب على الجدار يحتمل هذه الاوجه « الاولجتائي » او « الاولجيائي » أو « الاولخيائي » .

غفور ، هذه مدرسة رصينة البناء ، مشيدة الارجاء أنشأها المفتقر الى عفو الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن ، إبتدأ بها في أيام دولة المخدوم المكرم ، والنويان الأعظم ، السلطان حسن خان ، أنار الله برهانه ، وكملت في ايام ايالة ولده النويان الأعظم[1] سر العدالة في العالم ، سلطان السلاطين ، غاية[2] الدنيا والدين ، ومغيث الاسلام والمسلمين ، الشيخ أويس لا زال هذا الملك الأعظم ، ملجأ وملاذاً للأمم ، على أن يدرس فيها مذهبي الامامين الهمامين، والمجتهدين الأعظمين: الامام أبي حنيفة النعمان ، والامام محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان وذلك في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. بقلم المفتقر اليه تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي عفا الله عن تقصيره] .

ومن الكتابات الحجرية ما كتب على باب الخان المعروف (بخان الاورتمة) أي المغطى بالسقف الحجري :

[بسم الله الرحمن الرحيم # الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه أجمعين . هذا الخان من انشاء ذي العمل المبرور ، والسعي المشكور ، مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة والنصف للقائمة وتل دحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالحربية وبساتين بقرية الابزل[2] و الرادماز وخرم أباد ورباط جاولى المعروف بقزل رباط وررين جوي ونصف دوري وبساتين سعقوبا وبوهرز وبالبند نيجين وخان ودكاكين بالحلبة وأربع خانات ودكاكين بالجوهرية وخان بالجانب الغربي ودكان كاغد بالحريم

(١) لعله « ناشر العدالة (٢) لعله « غياث »

(٢) ص ٤ س ٦٧ هكذا (البزك)

كما هو محدود ومشروح في الوقفية وقفاً صحيحاً شرعياً تقبل الله منه الطاعات في الدارين ونهاية المراد ، وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم كتبه الفقير الى رحمة ربه أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم غفر الله ذنوبه] .

ماجرى على هذه الاوقاف

ان كثيراً مما ذكر في الوقفية من الاوقاف قد اندرس ولم يبق له ذكر ، ومنه ما امتدت اليه يد الغصب . فدار الشفاء اتخذها يهودي حانة بن وهي الشهيرة اليوم بقهوة المصبغة ، وباب الغربة هي شرعة المصبغة ، وكثير من الحوانيت المكتوب عليها وقف مدرسة مرجان تملكه الناس ، ومنه ماصار وقفاً على كنيسة ، وما بقي منه أقل قليل بالنسبة لما اندرس . فاعتبروا يا أولي الالباب !

ما جرى على هذه المدرسة من مستحدث العمارة

لم تزل العمارة الاولى قائمة على سافها لرصانة أساسها وتمكين قواعدها حتى كأنها جبل منحوت الا ما كان من الاصلاح في ايام حكومة سليمان باشا الكبير والي بغداد وذلك انه حكم وبها من سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف من الهجرة الى سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف وقد أمر ان يوسع المصلى بهدم بعض الحجر المبنية وادخالها فيه ،[1] فلما كملت العمارة حسبما أمر أرخ ذلك بعضهم بهذه الابيات :

---

(١) ولما تولى معالي الشيخ أمين عالي آل باش أعيان وزارة الاوقاف في العام الفائت ١٣٤٥ هـ رأى الواجب يمضي عليه بالاحتفاظ بهذا الاثر التأريخي الجليل ، فامر بترميم بابه النفيس واعادته الى مثل حالته الأولى . وباصلاح مصلاه وتعليه أرضه

تبارك من أنشا الانام وأوجدا * وقيض منهم من يقام به الهدى
ففي كل قرن يبدو منه مجدد * حديث أتى عن سيد الرسل مسندا
فكان بهذا القرن حقا مجدداً * وزير محا رجس الضلالة والردى
فأحيا ربوع العلم بعد دروسها * وكم جامع أحيا وجدد مسجدا
ومذ بان في هذا المكان تخاخل * تداركه فوراً فأضحى مشيدا
هنيئــاً له حاز الثواب لأنه * نوى عملا لله صرفا مجرداً
وفيه روى الراوي الحديث مؤرخاً: * سليمان أضحى عادلاً بل مجددا

١٢٠٠ هـ

ملخص ترجمة مرجان

كان مرجان من موالي السلطان أويس بن الشيخ حسن الايلخاني أحد أمراء التتار، استقل ببغداد وحكومتها بعد أبيه الشيخ حسن سنة خمس[١] وخمسين وسبعمائة، ولما سافر السلطان أويس عن بغداد الى تبريز خرج مولاه مرجان عليه بقصد الاستقلال بحكومة بغداد وتملكها فقام عليه سيده لمحاربته فنصره الله تعالى وغلبه وفرق جمعه، ثم عفا عنه وتركه والياً على بغداد من قبله وهناك بنى تلك المدرسة العلية القدر ووقف ما كان في يده من العقارات والاراضي التي مر ذكرها في وقفيته، ولما توفي دفن في هذه المدرسة وعليه قبة مرتفعة وقبره الى اليوم لم يندرس[١] وكان مشهوراً بالتقوى والدين والصدقات على الفقراء والمساكين .

....

وأبوابه وفتح نوافذ له ، وبتجديد الرواق الذي أمامه وتوسيعه من فناء الجامع . . . وما زالت أيدي الفعلة به حتى هذه الساعة ، وقد فرغوا من الباب والمصلى ولم يبق الا الرواق ، وعسى أن يتم ذلك قريباً .

(١) لعل الصواب سبع وخمسين وسبعمائة

(١) اقول : وقد دفن فيجواره العلامة السيد نعمان خير الدين الالوسي مدرس

جامع المصرف

هو مسجد صغير قرب جامع الفضل . فيه مصلى صغير وساحته كذلك. وفيه بعض الحجر، ومدرسة ، وخزانة كتب ولم يبق منها اليوم شيء . وعلى باب المسجد هذه الابيات مكتوبة بخط حسن على الحجر الكاشاني :

لله بيت عبادة وتقى * رفعت قواعده على رضوى
كم راكع لله فيه وكم * من ساجد للفوز بالمأوى
يتلون للذكر القديم به * وكذا حديث المصطفى يروى!
قد شاده بالفضل (احمد) من * فاق الورى بسوابغ الجدوى
ناديت مذ قام الخطيب على * أعواده بمحاسن النجوى
فبرفع ذي الافلاك أرخه * أسست أحمد جامع التقوى

١٢٣٧

وهو اليوم تقام فيه الجمع والاعياد وبانيه هو احمد افندي من مأموري الحكومة ايام داود باشا ، وكان عنده مأمور المال والمصرف وهو بمنزلة صاحب الدفتر في هذا العصر، وكان من اصحاب الخيرات والمبرات .

جامع الميدان

واقع أمام ساحة الميدان قريب من جامع المرادية [1] ويسمى ايضاً بجامع

مدرسة مرجان وصاحب المكتبة النعمانية التي جمعها ووقفها على هذه المدرسة وهي من اغنى الخزائن العلميـــة بنفائس المخطوطات والمطبوعات ، وكانت وفاته يوم ٧ المحرم سنة ١٣١٧ هـ .

ثم ابنـه شيخنا القاضي الفاضل الاستاذ السيد علي علاء الدين رحمه الله وذلك في جمادى الاولى ١٣٤٠ هـ . اقرأ ترجمتهما في كتابنا (اعلام العراق) المطبوع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ

(١) ص ٦٢

الأحمدية نسبة الى بانيه ومنشئه احمد اشا كتخدا سليمان باشا الصغير ، وكان من رجال الدولة المشار اليهم بالبنان ، ومن أصحاب الرأي والتدبير واللسان والسنان . تولى حكومة البصرة وغيرها من البلدان . فحسده بعض الموالي لما رأى مارأى من ميل الوالي اليه فقتله غيلة فى دار الحكومة عند مجيئه لزيارة الوالي حسب المراسم المعلومة وبعد أن صلي عليه دفن فى مقبرة الشيخ عمر السهروردي وذلك سنة ١٢١٠ هـ

وقد استحضر لبناء جمعه أشهر أساتذة عصره من الفعلة والمهندسين ، وصرف على العمارة مبالغ عظيمة ، ووقف عليه الأوقاف الجسيمة وهذا الجامع مشتمل على ساحة واسعة ، ومصلى شتآئي مرتفع عن الارض نحو ذراعين مع رواق بجواره ، وعلى مصلى آخر صيفي ، وعلى حجر متصلة بسوره قد هدم قسماً منها والي البلد وهو اذ ذاك مدحت باشا واضافها الى الطريق توسعة على المارين وذلك سنة ١٢٨٥ هـ وعلى المصلى قبة شامخة فى الهواء بديعة الشكل مبنية بالحجر الكاشاني الملون بأنواع الاصباغ المختلفة مكتنفة بقبتين أصغر منها على شكلها بنقوش أعجزت رجال هذا الفن عن أن يأتوا بمثلها ، والكبرى مطوقة بنطاق كتب فيه بعض السور القرآنية قائمة بجنبها مئذنة تناطح السحاب أحجارها ملونة بالوان تحسبها من الاحجار الكريمة ، وفي جنب المصلى من الجهة الجنوبية مدرسة ذات طبقتين : طبقة عليا وفيها حجرة للمدرس وأخرى للطلبة وأخرى خزانة لكتبها ، وطبقة سفلى وفيها حجر يسكنها بعض الفقراء والغرباء . ويحيط بالمسجد والمدرسة سور مرتفع نحو عشرة أذرع . وفيه من الجهات الأربع أبواب تنفذ الى ساحته . ولما قتل أحمد باشا قام باكمال العمارة أخوه عبدالله بك فأتمه سنة ١٢١١ هـ كما نطق بذلك التأريخ المنقوش على الحجر الكاشاني فى صدر الباب الغربي.

والجامع اليوم تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الجماعات . وفيه مدرس وخطيب وإمامان وجمع من المؤذنين والخدم .

جامع نازنده خاتون

جامع قريب من الشارع العام بين الحيدرخانة والميدان ، وهو جامع لطيف الوضع متقن البناء . له بابان باب من شرقيه وباب من شماليه . وفيه منارة وحجر ، ومدرسة . بنته السيدة نازنده زوج علي باشا الشهيد والي إيالة بغداد سنة ١٢٦٣ هـ ، وأنشأت فيه سقاية ، ورتبت له مدرساً وخطيباً واماماً وجملة من الخدم ، وفرشته بأحسن الفرش ، وعلى باب المسجد هذه الابيات نوردها على علاتها :

زوجة الشهم علي باشـــا الشهيد * ربة الاحسان والفضل المبين
مقصدي (نازنده خاتون) التي * قد غدا ذكر لها في الصالحين
حجت الكعبة قدماً وحظت * زورة من قبر ختم المرسلين
وبتقوى الله صرفاً قد بنت * جامعاً من ماله للمسلمين
مذ أتمتـــه بدا تأريخه : * ادخلوا الجامع صلوا راكعين

جامع النعمانية

هذا جامع صغير قرب جامع حسن باشا واقع في الجهة الغربية منه ، فيه مصلى لطيف وعليـه قبة ، وأمامه رواق وأمام الرواق المصلى الصيفي ، وفيه مدرسة ومنارة مطلة على الشارع وهو تقام فيه الجماعات والجمع والاعياد .

بنته الحاجة فاطمة بنت السيد بكتاش بن السيد ولي ، ووقفت عليـه مسقفات كثيرة وأراضي وبساتين . وقد رأيت وقفيتها مؤرخة سنة ١١٨٥ هـ ، وشرطت ان يكون فيه إمام وخطيب ومدرس وعدة مؤذنين وجملة من الخدم وسقاية واسم محلة الجامع يومئذ محلة الشط . ونصبت زوجها الحاج نعمان

اغا بن الحاج ابراهيم اغا متولياً على الاوقاف ثم التولية لأبنائه بطناً بعد بطن وطبقة بعد طبقة . ولما مات زوجها دفن فى هذا المسجد ونسب اليه . وهو اليوم بيد احفاده وهم ابناء عبدالغني آغا

الجامع النعمانى (١)

واقع فى منتصف الجادة التي تؤدي الى جامع الشيخ عبدالقادر الجيلي ، وهو من مساجد بغداد القديمة فيه منارة بيضاء مطلة على الطريق . وقدجدده الوزير داود باشاسنة ١٢٣٩ هـ وكتبت على أحدجدرانه بعد الفراغ من عمارته ثلاثة أبيات نقتصر على بيت التأريخ منها وهو :

داود دمت مؤيداً ما أرخوا * جددت بنية جامع النعماني (؟)

جامع الوزير

اذا جاوز المار جامع حسن باشا (٢) ومشى فيجادة دارالحكومة متوجهاً الى جهة الشرق لاقاه سوق فاذا مشى فيه نحو مائة خطوة رأى عن يمينه هذا الجامع الكبير مطلا على دجلة . وهو رحب الفناء ، فسيح المصلى عن شماله منارةشامخةوعن يمينهمدرسةجميلةالوضع مطلة علىالنهر ، وامامه راوق مستطيل وهذا الجامع قديم العهد وقد جدد وعمر مراراً ، وممن عمره حسن باشا

(١) كانت تجاه هذا الجامع ساحة واسعة جدا ، هي من اوقافه ، فاغتصبها بعض الظالمين فى أواخر عهد الدولة العثمانية البائدة حيث اختلت أنظمتها فلم يكن هناك سائل ولا مسؤول ، وباعها لاحدى الجمعيات النصرانية ، فشادت فيها ـ بعد احتلال البريطانيين لبغداد ـ كنيسة للرهبان الكرمليين المرسلين . وهكذا تضيع الاوقاف الاسلامية وتصبح كنائس وحوانيت كما ضاعت من قبل اوقاف جامع مرجان وأصبح بعضها كنيسة ، وبعضها حوانيت ، وبعضها مرقصاً تسرح فيه العاهرات المتشردات على مرأى من (المسلمين) ومسمع . والى الله عاقبة الامور .

(٢) ص ٣١

أحد ولاة بغداد السابقين على مادلت عليه الكتابة المنقوشة في المرمر الموضوع في صدر باب المصلى . وهذا نصها :

[بسم الله الرحمن الرحيم * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . عمر هذا المسجد في ايام خلافة خليفة الرحمن السلطان بن السلطان السلطان محمدخان بن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه صاحب البناء والانشاء الغازي الوزير حسن باشا بن الوزير المعظم المرحوم محمد باشا في سنة ثمان وألف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية] .

ولم يزل هذا الجامع قائم الأركان مشيد الجدران[1] تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة .

ب — المساجد

مسجد الاسماعيلية

اذا تجاوز المار جامع الصاغة ، ومشى الى جهة الشرق نحو سبعين خطوة لاقاه عن شماله سوق يعمل فيها الشواء الذى تعبر عنه العامة بالكباب ، فاذا دخلها رأى عن يمينه هذا المسجد في وسطها .

وهو من مساجد بغداد القديمة العهد فيه مصلى صغير ، وفناء واسع ، وحجر ، وفي سنة ١١١٠ هـ عمره اسماعيل باشا والي بغداد أحسن عمارة ، وفي سنة ١١٤٧ هـ أعاد عمارته اسماعيل باشا الثاني ، وكان والياً على إيالة من ذلك التاريخ الى سنة ١١٤٨ هـ ، فلذلك سمي هذا المسجد بالاسماعيلية ولم نر كتابات على جدرانه وهو اليوم تقام فيه الصلوات والجماعات الا الجمع والاعياد ، وفيه امام وجملة من الخدم .

---

(١) وقد تعهدت وزارة الاوقاف لعهدنا هذا مصلاه بالترميم والاصلاح ، وشادت منارته ، واتخذت من فنائه الرحب سوقا جعلا توفيرا للمال .

مسجد الخضيري

مسجد صغير قرب جامع الشيخ سراج الدين في (الصدرية) . فيه مصلى وحجر في الطابق العلوي والسفلي وكان خرباً فجدده الحاج عبدالرزاق الخضيري أحد أكابر تجار بغداد من أهل البر والتقوى ، وقام بجميع مايقتضي له من فرش وماء وضياء وخدم ؛ وذلك سنة ١٣٠٣ ﻫ كما نطقت بذلك الابيات المنقوشة على جداره . وبيت التاريخ هو :

لما استتم بناؤه قد أرخوا * أسست في تقواك يوماً مسجدا !

وكانت وفاة بانيه سنة ١٣١٥ ﻫ تغمده الله برحمته

مسجد الدسابيل[1]

مسجد لطيف الوضع ، قديم البنيان واقع في محلة (باب الشيخ) . وهو واسع المصلى ، فسيح الساحة . جدد عمارته أبو يحيى الشيخ زكريا سنة ١٢٣٥ ﻫ ، وأنشأ فيه سقاية ، وفيه قبره وقد كتبت عليه هذه الابيات :

سقى الله قبراً قد حوى الجود والندى * سحابة رضوان له تتجدد
وجاد له من جود فيض برحمة * يروح ويغدو دائماً ليس ينفد
فيالك قبراً حل فيه الذي له * جميع الورى بالجود والفضل تشهد
فتى كان للأيتام كهفاً وموئلاً * وكان لهم في بره يتفقد
وشيد بيتاً للاله وقد غدا * له بجنان الخلد قصر مشيد
وعمر للدين الحنيفي جامعاً * نوى فيه لايحصى ثواباً وينفد (؟)
فصبراً ذويه وابشروا انما الفتى * سعيد وفي اخراه لاشك أسعد

---

(١) الدسابيل فرع من محلة الشيخ عبد القادر الجيلي شرقي الرصافة ، وسمي بذلك لاقامة شذاذ العجم من بلدة دسبول فيه ، واليوم ليس لهم أثر هناك ولعلهم استعربوا على طول الايام واختلاطهم بالعرب .

أجل فاحذفوا أقصى المصاب وأرخوا * ألا زكريا في النعيم مخلد

١٢٣٥

مسجد عبد الكريم الجيلي

من مساجد بغداد القديمة قريب [1] من مسجد السيد سلطان علي . فيه مصلى واسع وعليه قبة . وساحته فسيحة ، وفيه حجر وبيوت ، وفي وسطه جنينة غناء فيها نخيل وأشجار . وفيه إمام ومؤذن وخادم.

وعبدالكريم الجيلي هذا من الصوفية له مؤلفات كثيرة في التصوف وقبره في هذا المسجد .

مسجد نجيب الدين

هو مسجد قديم العهد في جانب الرصافة بينه وبين دجلة طريق عام وبعض أبنية الحكومة [2]. وهو في الجهة الغربية من بغداد واسع الساحة فيه مدرسة وحجر فيه امام ومؤذن وخدم وفيه قبر الشيخ نجيب الدين السهروردي [3] الصديقي وكان أعيان المحققين درس بالنظامية وتصدى للافتاء وصنف التصانيف المفيدة . وكان يلقب بمفتي العراقين وقدوة الفريقين . وكان يشرح أحوال القوم ويلبس لباس العلماء ويركب البغلة وترفع بين يديه الغاشية وهو عم الشيخ عمر السهروردي [4] توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة ودفن في هذا

---

(١) في محلة المبخانة رقم ٢١-١٩٧ وقد رأيت على صدر بابه كتابة في لوح مرمر لم استطع قراءتها كلها .

(٢) الطوب العسكري بالامس والنادي العسكري اليوم .

(٣) هو ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله ينتهي نسبه الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد بسهرورد سنة ٤٩٠ ه تقريباً وتوفي سنة ٥٦٣ . (٤) انظر ص ٥٤ .

المسجد[1] وكان يومئذ مدرسة له . ولم أر على جدرانه شيئاً من الكتابات .

مسجد الحاج نعمان الباججي

هذا المسجد في محلة نهر المعلى الشهيرة اليوم بمحلة سبع ابكار وقد انشأه الحاج نعمان الباججي رأس التجار في الثلاثين بعد المائتين والالف من الهجرة وكان قبل أن يسمى مسجداً مدرسة تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وقد نظم اهل العلم في وصفها اشعاراً ونثروا من لآلئ أوصافها نثارا .

ومصلى المسجد صغير والمدرس موضع في الطبقة العليا على حديقة ليس بينها وبين دجلة سوى دار بانيها رحمه الله .

مسجد النقيب

مسجد صغير لطيف الوضع بناه السيد سلمان النقيب خارج الباب الشرقي جنوبي محلة باب الشيخ التي يسكن فيها النقباء المنتمون الى الشيخ عبدالقادر الجيلي وذلك سنة ١٣١٢ هـ وأنشأ فيه سقاية للمارين وهذا تأريخ إكمال عمارة المسجد :

يانقيباً لم تزل خير فتى	*	خصك الله برشد وهدى
أودع الله بك الخير الذي	*	بلغ الوفاد منه المقصدا
فزت مذ شيدت يوماً مسجداً	*	بنعيم دائم طول المدى
ونرى الاسلام لله به	*	ركعاً طوراً وطوراً سجدا

(١) يقول ابن خلكان في وفيات الاعيان (م ١ ص ٢٩٩) : « وبنى (أي أبو النجيب) رباطاً على الشط من الجانب الغربي ببغداد وسكنه جماعة من أصحابه الصالحين ... وعاد الى بغداد وتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر ١٧ جمادى الآخرة ٥٦٣ : ودفن بكرة في رباطه » اذن فهذا المسجد ليس برباط ابي النجيب والقبر الذي فيه ليس بقبره .

فعلى نهج الهــدى قد أرخوا * وعلى تقوى أقمت المسجدا

١٣١٢

وكانت وفاة النقيب صباح عيد الأضحى سنة ١٣١٥ هـ

مسجد نور الدين (١)

مسجد رصين البناء ، مشيد الارجاء ، معمور بالعبادات والطاعات . جدد رسم بنــائه صاحب الخيرات (محمد نور الدين) فى سنة ١٢٥٩ هـ كما نطقت بذلك هذه الابيات المكتوبة على جداره :

جامع للاسـلام في كل حين * شـاده ذو الوقـار والتمكين

فغدا الجامع الصغير كبيراً * إذ بنى سمـكه كحصن حصين

وبنــــاه محمد الاسم نور الـ * دين في صدق نيـة عن يقين

الامير الذي تسامى محلاً * شبل غيث الندى وليث العرين

راغب فى الخيرات خير وزير * كان فى الفضـل ماله من قرين

هو شامي بلدة عز أصـــلاً * وانتمت ذاته لأشرف طين

ومن الشـام نجـله حين وافى * طالبـاً فى الزوراء عون المعين

قد هداه مولاه رشداً فأحيـا * سنة المصطفى النبي الامين

وبهـذا التعمير لازال يحظى * من نوال المـولى بفتـح مبين

جامع للصلاة قـــد أرخوه : * فاق تعميره بنــــور الدين

١٢٩٥

(١) واقع فى محلة المورينة — الحاج فتحي .

ج - المدارس

المدرسة السليمانية

هذه مدرسة لطيفة في جانب الرصافة من بغداد قرب [1] دار الامارة . أنشأها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد[2] و بنى فيها الحجر الكثيرة لطلاب العلم ، ووقف عليها كتباً كثيرة معتبرة ؛ وجعلها مسجداً أيضاً له إمام ومؤذن وفراش .

ومما أنشد فيها من الاشعار هذه الابيات [3] :

أنظر لآثار إفضال وإحسان * واذكر بها فضل ذي التقوى سليمان
هو الذي قد بنى للعلم مدرسة * ينحط عن سمك أعلاها السما كان!
قد أحكمتها يد الاتقان رافعة * بنيانها للمعالي فوق كيوان !
شمس المعارف دارت حول قبتها * ومن ذراها بدت أقمار عرفان
بين المدارس قد أضحت نشاهدها * كروضة أينعت في وسط بستان !
حتى غدت مطمح الانظار مذ بنيت * في وسط بغداد للقاصي وللداني
وكل من زارها قد قال مفتخراً * أنعم بمدرسة الباشا سليمان !

ومدرس هذه المدرسة مفتي بغداد [4] ولها واعظ ومحافظ للكتب .

---

(١) متصلة بجامع النعمانية (ص ٧٥) ومسجد نجيب الدين (ص ٧٩) .

(٢) انظر ترجمته في ص ٥٠ و ٥٧ (٣) طرحت بعضها واقتصرت على اقواها

(٤) أقول : يعني به العلامة محمد فيضي الزهاوي (نسبة الى زهاو من اعمال كرمانشاه) . نشأ في كردستان ودرس في السليمانية ، وورد بغداد سنة ١٢٥٦ هـ فاتصل بعلمائها وأدبائها وظهر فضله فسموا له وعين مدرساً . وفي سنة ١٢٢٣ جعل مفتياً للحنفية ببغداد بدلا من امين افندي الزند وبقي في هذا المنصب حتى وفاته يوم ٤ جمادى الاولى سنة ١٣٠٨ هـ وقد تجاوزت سنه التسعين . وكان يعد من كبار

المدرسة العلية

هذه المدرسة كانت روضة من رياض الجنة ، يدرس فيها كل فن ولاسيما فنون الكتاب والسنة ، وهي على دجلة غربي جانب الرصافة كان فيها مصلى ومحل واسع للتدريس وحجر في الطبقة العليا والسفلى لطلبة العلم وسكناهم ، وكانت تقام فيها الصلوات والجماعات ، وفيها مدرس وخطيب وإمام وخدم.

أنشأها علي باشا الشهيد وكان والي بغداد تولى حكومتها خمس سنوات من سنة ١٢١٧ الى سنة ١٢٢١ ثم قام عليه الموالي فقتلوه . ومن الكتابات التي كانت على الجدران : (بسم الله الرحمن الرحيم * ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . قد أمر بانشاء هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية ، وتعليم الفنون العقلية والنقلية ، عالم الوزراء ، وامير العلماء ، محب العلم واهله ، لتقواه وفضله ، الوزير الاعظم ، والامير الافخم ، والي إيالة العراق ، ومدبر امورها على الاطلاق ، ابو المعالي

علماء بغداد في العلوم العقلية كالكلام والمنطق والحكمة اليونانية مع مشاركة له في العلوم النقلية. وتخرج به كثير من الاكراد وغيرهم ولم يصنف شيئاً وله في ذلك يقول:

دق تدريسي عن التأليف لكن * لست من ذلك قط متأسف

من تلاميذي ألفت كتاباً * كل سطر منه في العلم مؤلف

وكان في معتقده يميل الى مذهب السلف ويرجحه لانه الأحكم والأعلم ، وكان كثيراً ما ينشد :

وقصارى أمر من أو * ل أن ظنوا ظنونا

فيقولون على الرحـ * ـمن ما لا يعلمونا

وينشـــد :

لا تدع في حاجة بازاً ولا أسدا * الله ربك لا تشرك به أحدا

وتفصيل ترجمته في كتابنا الكبير (مشاهير العراق في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر) وهو غير (أعلام العراق) الذي طبعناه في مصر سنة

والمحاسن علي باشا والي بغداد ، أناله الله تعالى من الخير كل مراد ، و لما تشيد منها البنيان ، وقامت منها الاركان ، حتى اصبحت كأنها روضة من رياض الجنان ، وسطعت عليها أنوار العلم والعرفان ، أرخنا كمالها في سنة ست وسبعين ومائة والف (؟) من الهجرة النبوية) .

وهذه المدرسة قد اندرست اليوم ولم يبق منها اسمها ولا رسمها ، وذلك أن مدحت باشا والي بغداد سنة ١٢٨٥ غيرها وجعلها مدرسة للصنائع (١) ومطبعة ، وهدم عمارتها وعمرها على طرز آخر ونقل ما كان فيها من الكتب الى محل آخر . وباني المدرسة مدفون فيها ، وفيها قبور كثير من الصالحين وقد اندرست .

المدرسة المرادية

هي مدرسة كبيرة ، رصينة البناء ، واقعة أمام جامع الحيدرخانة يفصل بينهما الشارع العام . كانت مسكناً لمراد افندي احد رجال الدولة العثمانية وأمرائها ، فلما توفي وقفته زوجه نائلة خاتون واتخذته مدرسة تشتمل على غرف كثيرة وعلى مصلى للعبادة ، ووقفت عليه بساتين وعقارا ، ورتبت فيه مدرساً واماماً ومؤذناً وخدما واجرت لهم الجرايات ، واشترطت أن يوجد في المدرسة نحو عشرين طالبا ليلاً ونهارا وخصصت لهم ما يكفيهم . وقد كتبت على الباب هذه الابيات :

دع ذكر (نازندة) (٢) في وقفها * وما بنته من بناء جميل

وانظر الى ماقد بنت بعدها * (نائلة) الخير بباع طويل

وأوقفت لله منذ أوقفت * مدرسة ليس من مثيل

(١) وقد انقلبت في هذه الايام الى دار يسكنها الملك بعد أن رممت وأصلحت وصرفت عليها أموال طائلة .

(٢) يريد بها نازنده خاتون بانية الجامع الذي مر ذكره في ص ٧٥

وشيدت أركانها حسبةً * والله يجزيهـا الجزاء الجزيل
فأصبح العلم مقيما بهـا * مخيما ليس يريد الرحيـل !
ليهنها ان سلكت فعلها * في طرق الخيرات قصد السبيل !
قد قلت لما كملت أرخوا * نائـلة نلت مرادا جميـل[1]

١٢٩١هـ

المدرسة المستنصرية

هذه مدرسة عظيمة الشأن ، مطلة على دجلة ، متصلة بجامع الآصفية[2] لا يفصل بينهما سوى جادة السوق وباب الجسر حتى قيل إن هذا الجامع كان منها ومن مرافقها ومتمماتها وهو في غربيها .

أنشأها أبو جعفر المستنصر بالله الخليفة العباسي رحمه الله تعالى دل على ذلك ما كتب على جدرانها مما هو باق الى اليوم . منها ما كتب فوق طاق الباب الجنوبي . وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم * قد أنشأ هذا المحل رغبة في « إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا ، سيدنا ومولانا إمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، أبو جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين ، شيد الله معالم الدين بخلود سلطانه ، وأحيا قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه وإحسانه ، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله) .

ومنها ما كتب على الجدار المطل على دجلة من الخارج وهو مما بقي أيضاً الى اليوم وهذا نصه :

---

(١) وقد تداعت للسقوط فجددتها وزارة الاوقاف في السنين الاخيرة .

(٢) ص ٢٨

(بسم الله الرحمن الرحيم * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . هـذا ماأمر بعمله أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، الذي طبق البـلاد إحسانه وعدله ، وغمر العباد بره وفضله ، أبو جعفر المنصـور المستنصر بالله قرن الله تعالى أوامره الشريفة بالنجح واليسر ، وجنوده بالتأييد والنصر ، وجعل لايامه المخلدة جداً لايكبو جواده ، ولآرائه المجدة سعداً لا يخبو زناده ، في عز تخضع له الاقدار فيطيعه عواصيها ، وملك تخشع له الملوك فيملك نواصيهـا ، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصـلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعترته وسلم تسليما).

وقد أحدث امام هذه الكتابة بعض الابنية فبقيت خلفها والله المستعان [1]

---

(١) تنبيه : ذكر الاستاذ بعد هـــذا الكلام ان كثيراً من المؤرخين وصفوا هذه المدرسـة منهم الشيخ عبد الرحمن الاربلي في (خلاصة الذهب المسبوك في ذكر سير الملوك) ، وابن الساعي في (تاريخ بني العباس) ، ثم نقل كلام هـذا في وصف المستنصر بالله وأورد بعده ما قالاه في وصف المستنصرية والساعة التي كانت في صفة مدرسة الطب التابعة لها . ثم نقل عن بعض المؤرخين كلاماً نحو ذلك ولـكنه أوجز وأتبعه بقصائد لابن أبي الحديد وغيره في المستنصر بالله ومدرسته فلخص الشروط فوصف الساعة ايضاً فذكر وفاة المستنصر بالله فلخص ماجرى على المدرسة الى عصرنا . وقد وقفنا نحن على تفاصيل لم نرها فيما اورده الاستاذ وردت في جزء من تاريخ الصفدي محفوظ في المكتبة الاحمدية بحلب ونشرها محمد راغب الطباخ في مجلة المجمع العلمي م ٤ ص ٤٠ وما بعدها ، وعلى وصف الساعة أيضاً في مجلة الزهراء (م ٣ ص ٢٥٤) وقد نقلته عن جزء قديم مجهول الاسم والمؤلف من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة . فجمعنا بين ذلك كله وحذفنا الزوائد المكررة على ماترى . وقد ورد ذكر المستنصرية وخزانة كتبها في كتاب ابن الفرات ومنه نسخة في روما وفي كتاب نزهة القلوب بالفارسية المستوفي ولسنا لدى فانقل عنهما

وكثير من المؤرخين قد نوه بشأن هذه المدرسة ونحن نذكر ماوقفنيا عليه بعد بذل الجهد ومزيد التنقير .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث سنة ٦٣١ هـ :

« في هذه السنة فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد ونقل اليها جميع مايحتاج اليه من الفرش والقناديل والربعات والمصاحف بالخطوط المنسوبة. قال ابن الساعي : حمل اليها من الكتب مائة وستون حملا سوى ما نقل اليها بعد ذلك وسوى ما أحضره أرباب الدولة والمتمولون من كتبهم تقربا الى قلب الخليفة . وحضر الوزير وارباب الدولة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والقراء والوعاظ وأعيان اهل بغداد والشعراء وجماعة من التجار والغرباء [وعين الشيخ عبدالعزيز لاثبات الكتب واعتبارها وولده ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب المستنصر التي في داره فرتبها أحسن ترتيب مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها (١)] ورتب محيي الدين بن فضلان مدرس الشافعية ، ورشيد الدين عمر بن محمد الحنفي للحنفية ، ومحيي الدين ابن الجوزي للحنابلة ، وأبو الحسن علي المغربي للمالكية . وخلع عليهم وعلى سائر الفقهاء ، ورتب شمس الدين علي المعروف بابن الكتبي خازناً [والعماد علي بن الدباس المشرف والجمال ابراهيم ابن حذيفة المناول] ومد سماطٌ فيه من سائر الاطعمة والحلويات وغريب المآكل .

وشرط الواقف عظم الله أجره أن يكون (عدة الفقهاء) بها مائتين وثمانية

---

(١) ماتراه بين هاتين العلامتين [ ] فقد زدناه من كتب اخرى نقل عنها الاستاذ المؤلف .

وار بعين رجلا من كل طائفة اثنان وستون ، وأن يجري لكل واحد منهم في كل يوم ار بعة ارطال خبزاً وغرف طبيخ مما يطبخ في مطبخها و في كل شهر ديناران غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت .

وأن يكون (لكل طائفة) مدرس واربعة معيدين ، وأن يكون لكل مدرس في كل يوم عشرون رطلا من الخبز وخمسة ارطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها وفي كل شهر اثنا عشر ديناراً ، وان يكون لكل معيد في كل يوم سبعة ارطال خبزاً وغرفان طبيخا وفي كل شهر ثلاثة دنانير .

وأن يكون في (دار القرآن المجيد) شيخ يلقن القرآن وثلاثون صبياً أيتاماً ، ومعيد يحفظ الثلاثين ، ويكون للشيخ كل يوم سبعة ارطال خبزاً وغرفان طبيخاً و في الشهر ثلاثة دنانير ، وللمعيد في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً ، وللصبيان لكل صبي في كل يوم ثلاثة ارطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر ثلاثة عشر قيراطاً وحبة .

وأن يكون في (دار الحديث النبوي) شيخ عالي الاسناد يشغل بعلم الحديث وقارئ وطلبة ، ويكون للشيخ المسمع في كل يوم ستة ارطال خبزاً ورطلان لحما وفي كل شهر ثلاثة دنانير وللمشتغلين لكل واحد منهما (؟) في كل يوم أربعة أرطال حبزاً وغرف طبيخا وفي كل شهر ديناران وعشرة قراريط ، وللقارئ في كل يوم اربعة ارطال خبزاً وغرف طبيخا وكل شهر ثلاثة دنانير ، وللطلبة أسوة الايتام الذين يتلقون القرآن في الخبز والغرف والمشاهرة .

وأن يكون (لخازن الكتب) في كل يوم عشرة أرطال خبزاً واربعة لحما وفي كل شهر عشرة دنانير .

وأن يكون (للمشرف) على هذا الخازن في كل يوم خمسة ارطال خبزاً ورطلان لحما ، وفي كل شهر ثلاثة دنانير .

وأن يكون (للمناول) في هـذه الخزانة في كل يوم اربعة ارطال خبزاً وغرف طبيخا وفى كل شهر ديناران .

وان يكون بها (نحوي) يشغل بعـلم العربية يكون له في كل يوم ستة ارطال خبزاً ورطلان لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها وفى كل شهر ثلاثة دنانير .

وأن يكون بها (طبيب) حاذق يشغل عشرة أنفس بعلم الطب أسوة طلبة الحديث فى الخبز والطبيخ والمشاهرة . [وجعل لهم الاكحال السائلة و بنيت لهم صفة ذخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها الطبيب فيقصده المرضى فيداويهم] .

وأن يكون بها من كل طائفة (إمام) يصلي بهم ، و (قارئ للسبعة) و (داع) يدعو . وأن تضاعف المشاهرات فى رمضان ، وأن يكون (للناظر) المرتب بها في كل يوم عشرون رطلاً خبزاً وخمسة أرطال لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها وفى كل شهر اثنا عشر ديناراً ، و (للمشرف) فى كل يوم عشرة أرطال خبزاً وثلاثة أرطال لحماً وفى كل شهر سبعة دنانير . و (للكاتب) في كل يوم مثل المشرف و (معمارية) و (فراشون) و (بوابون) و (حمامي) و (مزين) و (قيم) و (طباخ) و (غلام) و (خازن الآلات) و (خزنة الديوان) و (غلمان الديوان) و (مزملاتي) و (مؤذن) و (نفاط) . وقرر لهؤلاء كلهم جرايات ومشاهرات .

وأما الدار المجاورة لهذه المدرسة في الحد الأعلى منها فلم يرَ مثلها أحد ، ولا لادراك وصفها أمد » .

قال الصفدي : وهذه الشروط نقلتها من تاريخ ابن الساعي . انتهى .

ونقل السيوطي عن الذهبي أنه قال : بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية فى العام نيفاً وسبعين الف مثقال .

وكان ابتداء عمارتها في سنة ٦٢٥ هـ وتمت في سنة ٦٣٠ هـ وقد أنفق عليها أموالاً طائلة وتولى عمارتها مؤيد الدين أبو طالب محمـــد العلقمي ، وفتحت يوم الخميس في رجب باحتفال مهيب حضره الخليفة ورجال الدولة والقضاة والعلماء والادباء وكان يوماً مشهودا .

وقد أنشد الشعراء قصائد غرآء منهم الحسين بن مجد الدين حسن بن الحسين الطاهر الكوفي الشاعر الشهير على ما قاله السيد الشريف تاج الدين ابن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني نقيب حلب فى كتابه (غاية الاختصار فى أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار) وهى :

سمعاً أمير المؤمنيـ * ـن لمدحتي وثنائها
لك مكة وجميع ما * يأوي الى بطحائها
سبقت بفرعك هاشم * وسموت فى عليائها
أدناك خير رجالها * شرفاً وخير نسائها
عمرت مدرسةً أمر * ت بسمكها وبنائها
سرت عيون الناظريـ * ـن بحسنها وبهائها
ليست مدارس من مضى * فى الحسن من نظرائها
ووسمت بالمستنصريـ * ـة منتهى أسمائها
سمة مقدســـة لما * ضمنت حروف هجائها
فخلدت مثل خلودها * وبقيت مثل بقائها

وللعلامة ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة :

مامثل الفلك العظيم لمبصر * فى الأرض قبل إيالة المستنصر
هذا بناء مترب عن قدره * رفعت قواعده بفعل مظهر
حسدت به الأرض السماء ولم يزل * حسد الفضائل من طباع العنصر

أنظر تجد نظم الثريا فى ذرى * شرفاته وضياء نور المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه * ورأى الصواب وذاك بعد تحير
فالافق بين مذهب ومفضض * والجو بين مكوفر ومعنبر
والأرض حاسرة القناع كأنها * خود تبرج فى رداء أخضر
تزهو بما عمر الخليفة فوقها * علماً لأحكام البشير المنذر
بالجانب الشرقي بالشاطي الذي * هوطور سينا كل صاحب منبر

ومنهـا :

ماحق دجـلة أن تفوه بلفظة * قهرت وأي مسـاجل لم يقهر
غلب العطاء المـاء فيها وانثنى * سداً يفوق صناعة الاسكندر
إن أصبحت بحراً فان بنانه * باضافة المعروف خمسـة أبحر
وضع الامام بها أساس بنائه * والموج بين مجمجم ومزمجر
قصراً ومدرسةً لمن طلب الغنى * أو رام شأو العالم المتبحر
هى جنة الفردوس يجري تحتها * من ماء دجلة ماء نهر الـكوثر
حصباؤها در النظام وتربها * مسك الجنوب وطينها كالعنبر
لبس الغني بها شهامة ماهر * وغدا المقل مزاحماً للمـكثر
لم تخل من حبر وشيخ فاضل * يروي الحديث وساجد ومعفر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها * فى كل قطر واحد لم يذكر
فرقاً يشق على المريد طلابها * فى الشرع والمطلوب كالمتعذر

وله فى مدح المستنصر بالله وذكر فيها فتح المدرسة المستنصرية :

أبيت فلا أقوم على الصغار * وبالمستنصر الملك انتصـاري
وكيف أخاف دهري بعد حجي * الى حرم الخليفة واعتماري !
سأبلغ كل إيثـاري بمدحي * لسدته وأدرك كل ثـاري

إمام هدىً اذا افتخرت معد * بعقر النيب واللبن السمار [1]
أتى بالفخر فى شرف مطال * وصيت فوق كيوان [2] مطار
وعد من الأب الأدنى ملوكاً * الى العباس ثم الى نزار
كما اطردت أنابيب العوالي * وما التطمت أواذي [3] البحار
بآباء أباة للدنايا * وأبناء بناة للفخار
وجوه مثل أقمار وضاء * وأيد مثل أنواء [4] غزار
لها فى المنفسات حروب عبس * وأيام كأيام الفجار [5]
أمير المؤمنين لك التهاني * تجدد فى رواح وابتكار
ولا برح الزمان لمن يوارى * لك البغضاء مشبوب الأوار
وأعناق الملوك لديك إما * بذل أو بقتل أو اسار
فجودك أوسع الأيام خصباً * وكانت قبل صائمة القطار
وعدلك أمن الدنيا وكانت * كأيام النسار أو الجفار [6]
ومذ أنشأت (دار العلم) قلنا * عرين الليث جل عن الوجار [7]
جرى الوادي فطم على قرى * صغير بين أنهار كبار [8]
وأطرق ياكرا [9] إنا رأينا * نعام الدو فى هذي [10] الديار

---

(١) الكثير الماء ، والنيب جمع ناب : الناقة المسنة . (٢) زحل . (٣) أمواج .
(٤) النوء المطر . (٥) من أيام العرب (٦) من ايام العرب أيضاً .

(٧) جحر الضبع وغيرها (٨) قري الماء كغني مسيله من التلاع وجرى الوادي فطم على القري مثل يضرب عند تجاوز الشيء حده (٩) اطرق كرا مثل وتمامه ان النعامة فى القرى . والاطراق : خفض النظر والكرا طائر شبيه البطة لاينام بالليل فسمي بضده من الكرا وقيل يصيدونه بهذه الكلمة فاذا سمعها يلبد في الارض فيلقى عليه ثوب فيصاد . وهو يضرب للذى ليس عنده غناء ويتكلم فيقال له اسكت وتوق انتشار ماتلفظ به وقيل يضرب لمن تكبر وتواضع من هو اشرف منه ومعنى ان النعام فى القرى أنها تأتيك فتدوسك باخفافها . (١٠) الدو : الفلاة.

تضاءلت الدارس إذ رأتهـــا * وباتت بالـــذلة والصغـ ـار

ولو كانت تطيق لها سجوداً * لتربت الترائب بالغبـــار

أقول لصاحبي لما رآهــا * أنخ بذرى المشقر من طمار

وقد جئنا الى محراب سيف * لحمر إذ دخلت الى ظفار [1]

يرد الطرف منظرهـا حسيراً * كأن الشمس فى شرف الجدار

وما كنا نصدق أو رأينا * بأن الارض تسكنها الدراري

مخيمة على نهر المعلى [2] * فدجلة لا المنيفـة فالضمار [3]

فكم دين قويم شدت فيهـا * وكم حبل عقدت بها مغار [4]

أعدت بها هلال العلم بدراً * وقد لقحت به ظلم السرار

وأوضحت المنار لطالبيـه * وقدماً كان مجهول المنـار

فدم واعمر لهـا الفي نظير * فكم بعد العشية من عرار

وهل هي غير عزم منك ماض * تنـاط الى زناد منك وار

اليك تجمعت سبل المعالي * كمجتمع السيول الى القرار

وأنت الدهر يخفض كل عال * بقوتـه ويمسك كل هار

ويبرم مايشـاء بلا اعتساف * وينقض مايشاء بلا اقتسار

يداك الضرتان على المعالي * فما تثني اليمين من اليسار

فطوراً من سيوب ندى ممير * وطوراً من سيول دم ممار

---

(١) فى المثل من دخل ظفار حمر يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيهم ، ظفار كقطام قرية باليمن وحمر تكلم بالحميرية (٢) محله اليوم بالرصافة يسمى سبع ابكار
(٣) يشير الى قول الشاعر :

اقول لصاحبي والعيس تهوي * بنا بين المنيفة فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

(٤) محكم الفتل .

وجدك مطعم الطير الموافي * وقاري الوحش فى البيد القفار

وحامي أحمد والخيل تردي * بخرصان كأطراف المذار

وقد لمح الغمام فى حنين * منيته فحن الى الفرار

وشافع أهل مكة إذ أتتهم * من المختار قاصمة الفقار

وكم لك من أب غمر[1] جواد * بطين[2] الشوط مأمون العثار

بعيد نومه الا غراراً * وفى الاعدآء مفتوق الغرار[3]

يراوح بين محراب بليل * يقوم به وحرب في نهار

ويكره أن يقر له قرار * محافظة على دار القرار

وميمون نقيبته ولكن * على الاعداء أشأم من قدار

ويخلق حين يعزم ثم يفري * اذا خلق العزيمة غير فار[4]

مناسب حلقت عن ذي رعين * وغضت من جلالة ذى المنار[5]

وناطحت النجوم فلم ينلها * أبو كرب وآكال المرار[6]

وكم فرع نضير إن عددنا * قديم وكم اصل نضار

وقد وزر الصدور لكم قديماً * ولكن اين غنم من غفار[7]

ندمت على اختيارك الف عام * وكنت على زمانك بالخيار

دعاء مخالص يهدي اليكم * لآلئ لم تدنس بالسفار

وقلائد نزهت عن كل عيب * كما نزهتم عن كل عار

(١) بالفتح كثير المعروف سخي . (٢) واسع .(٣) الغرار الاول بمعنى قليل والثاني حد الرمح والسهم والسيف . (٤) يخلق : يقدر ويفري : يقطع .(٥) ذو رعين وذو المنار : من ملوك حمير (٦) ابو كرب من التبابعة وآكل المرار أو آكل المرار لقب حجر بن معاوية الاكرم بن الحرث بن معاوية وهو جد فحل الشعراء امرئ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار.(٧) غنم وغفار قبيلتان.

وعن (عبدالحميد) نشأن فيكم * وليس ولي مروان الحمار[1]
ثار قبله ماظن خلق * بأن الشهب تدخل في ثار
بقيت وعشت يامولى "والي * كما عاش ابن عاد فى وبار[2]
تدوم لنا فتغنينا وتبقى * بقاء الدهر والفلك المدار
وأهلا بالوزير لكم وسهلا * سقى أيامه صوب السواري
ولا نسي الآله له جهاداً * أعاد الملك مختط العذار
اذا امهى[3] سنان العزم أغنى * عن السمر المثقفة الحرار
وان ناجى بالفاظ مشيراً * فقل ماشئت بالاري المشار[4]
وان سدكت[5] بجبار يداه * فيالله من قتل جبار[6]
سوار صغته ليد المعالي * وما حسن الذراع بلا سوار
وسيف شمته لطلى الاعادي * كما شام ابن عمك ذا الفقار[7]

وقد رأى ابن بطوطة الرحالة عند مروره على بغداد المدرسة المستنصرية وسمع التدريس فوصفها فى رحلته فقال : ذكر الجانب الشرقي منها وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة وأعظم اسواقها سوق تعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط هذه السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضرب بحسنها وفى آخرها المدرسة المستنصرية ونسبتها الى أمير المؤمنين المستنصر بالله ابي جعفر وبها المذاهب الاربعة لكل مذهب ايوان

(١) ولي مروان هو عبدالحميد الكاتب العربي المشهور شيخ الكتاب الاوائل قتله السفاح سنة ١٣٢ هـ وترجمته في وفيات الاعيان (م ١ ص ٣٠٧)
(٢) أرض بين اليمن ورمال يبرين كانت منازل عاد .
(٣) امهى الحديدة : احدها وسقاها الماء . (٤) الاري العسل . والمشار : المستخرج من الوقبة (٥) سدك به كفرح لزمه (٦) بالضم الهدر . (٧) الطلى: الرقاب وشام السيف : استله

ميه المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابساً الثياب السود ، معماوعلى يمينه و يساره معيدان يعيدان كل مايمليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة وفى داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الضوء [1] اهـ

ساعة المستنصرية

كان من فروع المستنصرية وتوابعها مدرسة للطب ومستشفى ، وهما عبارة عن ايوان مقابل لها عمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب ، وعنده جماعته الذين يشتغلون بعلم الطب ، ويقصده المرضى فيداويهم

وقد كمل بناء هذا الايوان والصفة فى سنة ٦٣٣ ، و بني فى حائط هذه الصفة دائرة ، وصورت فيها صورة الفلك ، وجعلت فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة : وفى الدائرة بازان [2] من ذهب فى طاسين من ذهب . ووراءهما بندقتان من شبه [3] لايدركهما الناظر

فعند مضي كل ساعة ينفتح فم البازين ، وتقع منهما البندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات ، والباب مذهب فيصير حينئذ مفضضاً واذا وقعت البندقتان في الطاسين ذهبتا الى مواضعهما ، ثم تطلع أقمار من ذهب فى سماء لازوردية في ذلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيوبتها . فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها . كلما مضت ساعة تكامل الضوء فى دائرة القمر ثم يبتدئ في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فتعلم بذلك اوقات الصلوات .

(١) لعله ار لوضوء .

(٢) تثنية « باري » الطائر المعروف . (٣) هو النحاس الاصفر .

وقد نظم الشعراء في ذلك قصائد منها قول بعضهم يمدح المستنصر بالله ويذكر الساعة ، وهو :

يا أيها المنصور ، يا مالكاً * برأيه صعب الليالي يهون
شيدت لله ورضوانه * أشرف بنيان يروق العيون
إيوان حسن وضعه مدهش * يحار في منظره الناظرون
صور فيه فلك دائر * والشمس تجري ما لها من سكون
دائرة من لازورد حكت[1] * نقطة تبر فيه سر مصون
فتلك في الشكل وهذي معاً * كمثل هاء ركبت وسط نون

وجاء[2] في حوادث سنة ٦٨٣ من المرء القديم المجهول الاسم والمؤلف[3] الذي أشرنا في حاشية (ص ٨٦) ان نور الدين علي بن تغلب الساعاتي توفي في تلك السنة وكان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ، وان مولده كان سنة ٦٠١ هـ وورد نحو ذلك في كتاب الفوائد البهية (ص ٢٦) عند ترجمة ابنه احمد بن علي بن تغلب بل قال ان علياً هو الذى عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد

ملخص ما جرى على هذه المدرسة الى عصرنا

لم تزل هذه المدرسة على ما كانت عليه زمن منشئها الى ان حدثت حادثة التاتار[4] ، وخرب بغداد على ايدى الفجار ، وما كان فيها من سفك الدماء ، وقتل الانفس ، وتخريب الديار ، ونهب الاموال ، وسبي النساء والاطفال ، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب التاريخ ، فجميع ما كان في هذه المدرسة

(١) لعله . حوت . (٢) من اضافات المهذب . (٣) يرى بعض الباحثين ان هذا الكتاب هو (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) مؤرخ البغدادي هو ابن الفوطي المعروف (٤) وكان سنة ٦٥٦ هـ .

من كتب وفرش ومرافق قد نهبه جند العدو المخذول ، بل من الكتب ما رموا به الى دجلة قهراً لاهل العلم والدين ، وبعد ان تولى امر بغداد من تولى عاد شمل المدرسة واهلها الى ما كان عليه ، ولم تزل مجمع الافاضل والفضائل الى ان دخل العراق فى حوزة الدولة العثمانية فهنالك اختل أمر المدرسة وانتظامها ، وغابت من افقها شمس العلم ، وتفرق عنها جموع الطلبة والمشتغلين ، وخلت ربوعها من العلم والعلماء العاملين ، لاستيلاء يد الظلم على عقاراتها وسائر ضياعها ومبرانها ، فلم يبق المشتغلين ما يسدون به فم حوائجهم ، فعدلوا عما كانوا عليه من مسلكهم ومنهاجهم . غير أن بنيان المدرسة ووضعها على ما كانت عليه ايام انشائها ومبدأ تأسيسها وبنائها من هاتيك الرصانة والبنيان المتين الذى يخيل لرائيه انه جبل مكين[1] ؛ ولم تزل ربوعها خالية من الانيس ومجالسها لا يسمع فيها صوت تدريس الى ايام ولاية أبي سعيد سليمان باشا والي بغداد وباني (المدرسة السليمانية[2]) فجعل المدرسة المستنصرية خاناً ووقفها على مدرسته فى جملة ماوقف عليها من العقارات الكلية اخاداً لنورها ونسياناً لذكرها ، ولم تزل موسومة من يومئذ بخان الموصليين ، ولولا ما كتب على الجدران لم يعلم انها المدرسة التي انشأها أبو جعفر امير المؤمنين .

ومن أمد غير بعيد استأجرها من دائرة الوقف المجلس العسكري وجعلها مخزناً لملابس الجنود وادوا اجارة الوقف عدة سنوات ، ثم قطعوا ذلك وأعرضوا عن الاداء الى أن تجرأوا على بيعها الى دائرة الرسومات من غير استئناء ، وذلك بسنة احدى عشرة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة ، بعد ان كان قسم منها بيد

---

(١) أقول : ولم يبق منها اليوم الا نحو نصفها ، والباقي اغتصب واصبح أسواقاً وحوانيت ومخازن . ومن جملة ذلك سوق الرماح وسوق دانيال وسوق الوخانة وقهوة المميز والادارة النهرية ومنه ايضاً جامع الآصفية المتقدم ذكره . (٢) ص ٨٢ .

هانيك النظارة [1] واهل بغداد ساهون لاهون لايدرون مايصنعون .
ولاشك أن سلطان المسلمين وأمير المؤمنين لاينشرح بمثل هذه الامور التي منها السماء تمور ، فانه أيده الله كثير المبرات غزير الصدقات محب لآثار الاقدمين ، ولا سيما مثل هذا المحل المقدس الذى كان ينبوع الصالحين !

وقد أسف لذلك كل ذي دين ، وبكتها الاقلام بدمع معين ، وانشد شاعر مصرنا (معروف) الاسم واللقب راثياً لهذه المدرسة وشاكياً عن لسانها وباكياً عن عينها :

---

(١) قلت : وظلت دائرة الاوقاف ساكتة عن امرها حتى سنة ١٣٢٩ هـ فرفعت الدعوى وشهد خمسون شاهداً عدلا بانها وقفت من قبل سليمان باشا على مدرسته فحكم القاضي (وهو يومئذ محمد عاصم بك) بردها وقفاً بشهادة التواتر والوقفيات وذلك فى اليوم الثالث من شهر ربيع الثاني ١٣٢٩ هـ وأرسل اعلام الحكم الى الاستانة ليصدقه شيخ الاسلام الرسمي فسدل عليه حجاب النسيان حتى شبت نار الحرب العامة واحتل البريطانيون بغداد سنة ١٣٣٥ ثم كانت الحكومة العراقيــة وعلى رأسها الملك الهاشمي فرجونا اعادتها الى سالف عزها بل زارها الملك قبل تشكيل حكومته يوم كان اميراً واقيم فيها احتفال عظيم وانشد الشعراء بين يديه القصائد الرنانة طالبين منه احياء هذا المعهد العلمي الجليل ثم مضت على ذلك ايام وتلتها اعوام فلم تر وزارة الاوقاف بداً من المطالبة بيدن اجارتها اوتسليمها وذلك عام ١٣٤٤ هـ فامتنعت وزارة المال مدعية انها ملك لها فرفعت الاوقاف الدعوى عليها فى المحكمة الشرعية فشهد بوقفها جم غفير من الثقات وابرزت الوثائق الرسمية ولكن « القاضي الشرعي » متع الله به رد دعوى الاوقاف ولم يصغ الى شهادة التواتر فاضطرت الاوقاف الى تمييز هذا الحكم الجائر بل الفاسد فاحال مجلس التمييز الشرعي الدعوى الى محكمة سامراء الشرعية فحكمت للاوقاف وتم لها الامر ، وقد حدثني معالي الوزير أمين عالي بك بان في النية جعلها مدرسة ومكتبة عامة يجمع فيها كل مافي خزائن الجوامع من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، اخذ الله بيد انصار العلم والادب .

أما لزماني الماضي ارتجاع * أما لمشتت الشمل اجتماع ؟
زمان ضربت فيه من المعالي * رواقاً للعلوم به اتساع
وكنت مجيدة الاركان حتى * بناني لا يخاف له انصداع
وكان لواء مجدي في البرايا * على هام السماك له ارتفاع
وكم قدماً هزمت جيوش جهل * وعدت ومن مواضي اليراع
وكم قد كان للاقوام طراً * لغيث الفضل فوز بي انتجاع
فألوت بي يد الحدثان حتى * خلت مني المرابع والبقاع
ومرت بالهوان علي تعدو * ليال ما لأنجمها شعاع
رميت بها بثالثة الأثافي * وصرت بكل حادثة أراع
وضيعني الألى عرفوا بمجدي * وبي كم قد غدا لهم انتفاع
وبعد اولئك العلماء صارت * بعين الجهل ترمقني الرعاع
وبعت بأبخس الأثمان بيعاً * على زهد كما بيع المتاع
فيا بغداد كيف نبذت عهدي * (كما نبذت براءتها الصناع)
وكيف لديك ساغ حرام بيعي * (لحاك الله هل مثلي يباع)
أعندك لم أكن قدراً أداني * (سكاب فلا أعار ولا أباع)
فها أنا فيك أنشد عند بيعي * (اضاعوني وأي فتى أضاعوا)

ترجمة مؤسس المستنصرية

هو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٣ هـ ولقب بالمستنصر بالله ، فسار سيرة أبيه فبسط العدل ، ورفع المكوس ، وأعاد الأملاك المغصوبة الى أصحابها ، وفعل كثيراً من الخيرات والمبرات ، فكان مثال الخلفاء العادلين حتى بالغ ابن كثير وقال : إنه أعاد سنة العمرين ولم يل بعد عمر بن عبدالعزيز مثله لكن

لم تطل مدته [1] .

وقال ابن الساعي « وما زال الدين في أيامه باهر المطالع ، عامر المرابع ، وكان مواظباً على الصلوات فرضاً ونفلاً ، مكثراً من الصلات إنعاماً وفضلاً ، يعظم أهل الدين وينفق على أربابه ، ويحب أهل الأدب ويقرب من طلابه ، ومباره دارة عليهم ، وصدقاته واصلة اليهم ، وتنبهت الهمم في أيامه وازداد المشتغلون بالعلوم رغبة واشتغالا ، ووسعهم بعطاياه العميمة كرماً وإفضالاً ، وحن على الأئمة حنو الشفيق فجبر كسيرهم ، وفك أسيرهم ، وأحسن الى محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، فأصبح الدين ثابت الاركان ، رفيع البنيان ؛ ولقد شاع من مكارم أخلاقه مازاد ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، فسبحان الذي جعله سهلاً في طلاقة محياه ، وكرم سجاياه ، فأما ما خصه الله تعالى في نفسه من الميل الى العلوم فانه لم يزل من أول أمره ، ومبدإ عمره ، متشاغلاً بالعلوم الدينية والأدبية ، منعكفاً على نقل الكتب حريصاً على ذلك ، حسن الخط ، صحيح الضبط ؛ ومن محبته للعلوم أنه أنشأ (خزانة الكتب) بشريف حضرته ، ومقدس سيرته : جمع فيها من أنواع العلوم على اختلافها ، وتباينها وائتلافها ، بالأصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حد الكثرة » .

وكانت وفاة المستنصر قدس الله روحه بكرة نهار يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة سنة أربعين وستمائة ، وكتم موته الى ان بويع ولده الاكبر أبو أحمد عبدالله [2] ، ثم خطب له على منبر بغداد وهو ميت ، ثم أشيع موته بعد ذلك ودفن في (الدار المثمنة) على دجلة ، ثم نقل تابوته الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان اتخذها لنفسه مدفنا .

---

(١) من اضافات المهذب .

(٢) المستعصم بالله آخر ملوك بني العباس . بويع سنة ٦٤٠ هـ وقتل سنة ٦٥٦ هـ

ولعل هذا المحل هو المشهور بمرقد المحاسبي في جامع الآصفية المجاور لهذه المدرسة ، والظن في ذلك قوي فان مثل هذا المحل لا يمكن ان يكون الا للملك ونحوه ، وقد سبق منا ذلك [١].

وكان مبلغ عمره اثنين وخمسين سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما ، ومدة خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما .

المدرسة النظامية

هي أقدم مدرسة في مدينة السلام ، بل أول بيت وضع للعلم في بلاد الاسلام [٢] ، وكانت لها شهرة عظيمة في العالم . ولما جرى ماجرى على بغداد من المصائب احترقت مرتين ثم أعيدت ثم اندرست . وكانت في جانب الرصافة من بغداد وسط سوق الثلاثاء بناها ابو علي الحسن بن علي بن اسحق ابن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي . وكان ابتداء تأسيسها وعمارتها على ماذكره أبو الحسن محمد بن هلال الصابي في تاريخه في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، والانتهاء من عمارتها سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من السنة المذكورة ، وكان يوماً مشهوداً حضره اركان الدولة والاعيان والعلماء الاعلام وجمع من الناس لا يحصون كثرة .

كانت المدرسة النظامية لا نظير لها في غيرها من البلاد : كانت روضة من رياض الجنة ، ومأوى للكتاب والسنة ، وكانت مشرق انوار العلوم ومطلع بدور علماء المنطوق والمفهوم ، وكانت رياض الأدب فيها مفتحة الازهار ، وحدائق المعارف يانعة الثمار ،

أين سعد السعود أن قيس منها بمحل وأين سعد الخبايا ؟

---

(١) ص ٢٠ و ٣١ . (٢) أنظر ص ١٦ و ١٧

قصدها أهل العلم والفضل على اختلاف طبقاتهم من أطراف البلاد ، وخصص منشؤها وظائف وجرايات لكل من أقام فيها من طلبة العلم وقام بمؤونة أطعمتهم وملابسهم وفرشهم وسرجهم وغير ذلك من ضروريات معاشهم حتى نبغ فيها جم من الفقهاء والافاضل ممن لا يحصون كثرة . ويقال إنه أنفق عليها ستين الف دينار عدا ما بنى حولها من الاسواق والخانات وغير ذلك .

ولا تسل عما كانت عليه من اطافة الوضع واتقان الصنع . فالمستنصرية وإن أفرغت على قالبها وحيكت على منوالها وصيغت على مثالها وحاكتها ولكن فاتها الشنف . كانت مستطلة البناء متناسبة الزوايا والأرجاء . فيها محل واسع للدروس وآخر مثله معد للمذاكرة ولترويح النفوس ومصلاها يسع من المصلين الألوف وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وأفنية للذخائر وأدوات الطباخين ، وكانت تشتمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير . وكانت مرفوعة الجدران مشيدة الأركان قد عقد في جوانبها طاقات مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد وقد فرشت ساحتها بالمرمر وسورها مؤزر بمثله وكان فيها خزانة كتب اشتملت على ما يفوت الحساب من الكتب التي جمعت من الآفاق وصرف على استنساخها الاموال الطائلة ، واذن واقفها لأهل العلم والفضل ان ينتابوها متى شاؤا الى غير ذلك من أوصافها التي تستوقف الابصار .

وقد درس في هذه المدرسة جم من الأفاضل وأساتذة العصر ممن تحلت بدور مزاياهم نحور الايام واشتهرت آثارهم بين الانام: منهم الشيخ أبو اسحق الشيرازي ، وأبو نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ وأبو سعيد عبد الرحمن بن مأمون المعروف بالمتولي الفقيه الشافعي . وأبو حامد الغزالي

الملقب بحجة الاسلام . وأبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الملقب بفخر الاسلام المعروف بالمستظهري . الى غيرهم من الاعلام الذين كانوا مفخر الاسلام وأما المتخرجون من هذه المدرسة فكثير عددهم .

خراب هذه المدرسة وضياعها

من سمع بغداد ووصفها وما كانت عليه أيام الدولة العباسية ورآها اليوم علم أن ماراه غير ماسمعه . فقد تبدلت الارض غير الارض ولم يبق مما كان سوى ذكر الأسماء في الطروس ، وقد اندرست رسومها ، وامحت علومها ، وتفرقت جموعها ، وأوحشت ربوعها ، وأظلم نهارها ، وذبلت أزهارها ، وأقفرت أرضها ، ويبس روضها ، وعمها الخراب ، وتناثر منها التراب ، وألفها الوحش اليباب ،

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أما المدرسة النظامية التي نوهنا بشأنها و بيان ما كانت عليه من إتقان صنعها و رصانة بنيانها فلم ندرك نحن ولا آباؤنا أثراً من آثارها[1] ، وساحتها الكبرى قد اصبحت اليوم مسكناً لاراذل اليهود ومجمعاً لاقذارهم وجيفهم ، هذا مع انها كانت اول بيت بني للعلم وشيد لنشر الفضائل في اعظم بلد من

(١) كذا ، وسيذكر قريباً انه لم يبق منها الا بقايا متذبذة ، اذن فهو يريد بالاثر الاثر الكامل الذي يمثل المدرسه البائدة

وقد أدركنا نحن ايواناً كبيراً عند جامع مرجان يقال انه ايوان باب النظامية . كانت فيه صخرة مرتسم فيها شكل كف تسمى (بنجه علي) أي كف الامام علي ابن ابي طالب (رض) و كانت تحدثها الشيعة مزاراً تعظيماً لهذا الاثر ، ولما جاء القائد خليل باشا التركي الى بغداد في اثناء الحرب العامة هدم هذا الايوان وادخل في الشارع ، فحمل الشيعة تلك الصخرة وبنوا لها موضعاً في محلة (الامام طه) ووضعوها فيه .

بلاد الاسلام ،وقد نبغ فيها من نبغ من الأئمة وسادات الامة وفضلاء الزمان ومجتهديه ممن تزينت بذكرهم صحائف الاخبار وتحملت ببيان مزاياهم كتب الآثار وماجرى على هذا البلد ماجرى الا من تلاعب أيدي أقوام كانوا أعداء المعارف وآفة العدل وخصوم الانصاف . أهملوا أسباب السعادة وجدوا فى الافساد وتخريب البلاد ولاسيما فى محو آثار سلف الامة وبقاياهم ، ولذلك عرا هذه المدرسة ماعراها ولم يبق منها سوى بقايا مئذنة [١] بقيت تشكو بلسان حالها ماجرى على ربعها من الاوغاد ، ولم تزل تنادي كل رائح وغاد ، ولكن أين المستمعون ؟ وهذه قصيدة غراء أنشدها عن لسان حال هذه المدرسة الأديب معروف افندي الرصافي :

قوض الدهر بالخراب عمادي * ورمتني يداه بالأنكاد

ضعضع الدهر من بنائي أركا * ناً شداداً طالت على الأطواد

كم أنادي وليس لي من مجيب * واحراباه جهرة كم أنادي

طالما رفرفت من العلم رايا * ت فخار مني على بغداد

طالما طاولت ذرى قبس الشم * حصوني بفضلها المستجاد

كنت للعلم روضة باكرت أز * هارها الغر بالعهاد العوادي

وحمى الانام تضرب نحوي * د المطايا كي تحتي أورادي

كم رست بي بوظر العلم حتى * كنت منها بها مكان السواد !

فالغزالي سائلن وآباه إلى * حق عما حويت من ارشاد

قد رمتني صواعق الدهر فانهد * بنائي وصرت بعض الوهاد

فبكتني من السماء دراريـ * ـها وكانت تعد من حسادي

(١) تسمى اليوم لمنارة المقصومة أي المقطوعة والمحلة التي حولها قريبة من الشارع العام تسمى محلة المنارة المقطومة وبينها وبين جامع مرجان نحو مائتين خطوة وقد رأيتها لعبت بها الايدي بحاول محوها كما محت المدرسة من قبل !

أهل بغـــداد ما لأعينكم تغـ * ـمض عني أظنكم في رقاد
أهل بغـداد هل ترقون قلباً * أوما راعكم عظيم افتقادي !
رق حتى قلب الجماد لفقدي * فلتكونن قلوبكم من جماد
أفلا تنجدون مدرسة العلـ * ـم وعهدي بكم ذوي إنجاد
أين تطنيبكم من العلم أبيا * ت المعالي من فوق سمك شداد ؟
أين ما شيد من نظامي ربعي * فلقد كان نجعة المرتاد ؟
لم تزل في طلابي الابل النجـ * ـب تخفي مضروبة الأكباد
أين تلك المعارف التي كا * نت ربوعي تذيعها في البلاد ؟
أصبحت مسكن اليهود وقد كا * نت ربوعاً يأوي لها كل هاد
ليتها بعد محقها عشعش البو * م عليها ولا انتحتها الأعادي
أقفرت سوحها وقد نعي العلـ * ـم فلاحت تجر ثوب الحداد
وتوارت بالغي ظلماً وكانت * خافقاً فوقها لواء الرشــاد
كيف قضت خيامها زعزع الدهـــر وكانت رصينة الأوتاد
أيها الدهر كل ما شئت فاصنع * اذ حدا في ركائبي غير حاد
ورعاني من راح من ظلمة العد * ل فقيداً ميعاده في المعاد
فرقوا شمل امة قبلهم كا * نت لعمري وحيدة الاتحاد[1]

---

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان معروف الرصافي المطبوع ببيروت باختلاف عن هذه من حيث التقديم والتأخير والحذف والتهذيب . ولا ريب انه حينما طبع الديوان أجال فيها قلم الاصلاح فحصل هذا الاختلاف !

د - التكايا والزوايا [1]

زاوية الشيخ ابراهيم أبي بطغانه

كانت هذه الزاوية على وضع لطيف وبناء محكم بناها الشيخ ابراهيم المذكور في محلة الشيخ عبدالقادر الجيلي، وكان شيخاً متصوفاً مسموع الكلمة وشاع عنه بين العامة انه كان يعلم الاكسير وصنعة الحجر المكرم . وقد اتخذت هذه الزاوية بعد وفاته منزلا وهذا بعض منظومة في تاريخ بنائها ومديح صاحبها نظمها عند اكمال العمارة عبد الباقي الفاروقي :

بغداد كم فيها شيوخ عظام * وأولياء كبراء فخام

وكم رأينا قمراً طالعاً * من برجها يخجل بدر التمام

وشمس عرفان تجلت على * آفاقها فانجاب عنها الظلام

لم يخل وقت من ولي بها * في رشده يدعو لدار السلام

وينقذ العالم من ورطة الـ * جهل ويهدي الناس خاصاً وعام

لاسيما من قام في عصرنا * هذا مقاماً شأوه لا يرام !

(الشيخ ابراهيم) من قد صفا * مشربه مستعذبته الانام

وازدحم الناس على ورده * والمنهل العذب كثير الزحام

قد اخذ الارشاد عن سادة * تم بهم للدين حسن انتظام

---

(١) شيدت في القرن الماضي ببغداد تكايا وزوايا كثيرة ثم بادت بهلاك أنصار التصوف من امراء الترك ولم يبق منها اليوم الا القليل ، والاستاذ المؤلف لم يذكر منه الا هذه الزاوية والتكية الخالدية التي استوفاها في خواتم ص ٢٦ باسم (جامع الاحساني) لاتخاذها اليوم – كما كانت سابقاً – مسجداً . وربما ذكرنا ما اهمله الاستاذ في المستدرك الذي سنذيل به الكتاب .

ترى المريدين بساحاته * قائمة بالذكر حق القيام

قد زرته يوماً وهنأته * فى بيته هذا البديع النظام

وقلت إذ طفت به أرخوا * شيدت ابراهيم أعلى مقام

وكانت هذه الابيات مكتوبة باحسن خط وهو خط ابن مقلة عصره (سفيان الوهبي) ومنها نقلت ما أثبته هنا . وقد عاش هذا الشيخ حتى بلغ من العمر زهاء الثمانين ولما توفي دفن فى مسجد العيدروسي .

هـ ــ السقايات [1]

* سقاية جامع الازبك ص (٢٧) .
* سقاية جامع الآصفية :

أنشأتها وزارة الاوقاف حديثا .

* سقاية السيدة أمينة :

أنشأتها امرأة من أهل المبرات ، وهي السيدة أمينـــة ، قرب جامع علي أفندي (ص ٥٣) بالبارودية ، وقد كتب على جدارها خمسة أبيات نقتصر منها على شطر التاريخ وهو :

(تأريخها : حوض صفت موارده)

* سقاية مسجد السابيل (ص ٧٨) .

أنشأها أبو يحيى الشيخ زكريا سنة ١٢٢٨ كما نطق بذلك ما كتب على جدارها من الابيات ، وهي :

أباح لوراد من الماء صافيا	وأوردهم عذباً فراتاً وأنهلا
وصيره وقفاً على كل وارد	أراد وضوءاً أو تطلب منهلا
فحاز ثواباً كالذي صام دهره	وصلى دوام العمر طولاً وهللا
ترى زمر الوراد تأتي صواديا	وترجع في ري من الماء عللا
لذلك أضحوا قائلين وارخوا	سقى زكريا يوم يبعث سلسلا

* سقاية جامع الشيخ سراج الدين (ص ٤٠) :

(١) في اكثر الجوامع والمساجد سقايات يشرب منها المارة ، وقد اشار الاستاذ المؤلف الى بعضها ستطراداً وأفرد بعضها بالبحث ، فجردنا ذلك كله وزدنا عليه بعض الزيادات وجمعناه تحت هذا العنوان مرتباً على الحروف كما ترى .

انشأها حسن باشا والي بغداد سنة ١١٣١ هـ كما نطق بذلك الشعر في لوح من المرمر والحجر الكاشاني عندها ، وهو :

الحمد لله عظيم النوال	وربنا أيده ذو الجلال
ان سراج الدين في عصره	أضاء للناس طريق الوصال
يا (حسن) عمرك الله في	دار السلام سلام يسال
أجريت للناس سبيلا لهم	فيه سبيل الخير في كل حال
قد نزل الناس بساحاته	واحتذوا الماء بدون الحبال !
للشرب والطهر ودفع الاذى	حماك ربي بنعمة لا تزال
هذا الذي فيه ينال الرضا	في عطش الحشر يوم السؤال
أتاه فقد يسر تأريخه	أجرى لك الكوثر ماء زلال

* سقاية الشيخ صبغة الله الحيدري :

انشأها الشيخ المذكور ، وهو من علماء بغداد في المائة الثالثة عشرة ، قرب جامع الخلفاء وقد حررت على جدارها هذه الابيات :

ذي بركة يرتوي منها بضحضاحـ	كادت تؤلف ابدانا بارواح
فصبغة الله أجرى ماءها غدقاً	للواردين تبريد وإصلاح
يرجو الثواب من الرب الكريم بها	يوم الحساب وأن يسقى باقداح
بشراه قد ربحت فيها تجارته	وفاز في حشر محصول وأرباح
إن جئت ظمآن فلب يا مؤرخها	إشرب هنيئاً مريئاً بارد الراح

* سقاية جامع العاقولي (٢٦)

* سقاية علي رضا باشا

انشأها والي بغداد علي رضا باشا في جوار جامع الشيخ عبد القادر الجيلي سنة ١٢٤٧ هـ وأجرى اليها جدولا من نهر دجلة ، ووقف عليها عقاراً بالتنفق

على ممر الايام وتعاقب الأعوام (١) ؛ وقد كتبت على جدارها هذه الأبيات:

لله ساقية قد تسداد مناها | والي العراقين أقصاها وادناها !
أعني (علي رضا) بل حيدري وغى | سميه لجميع الناس مولاها !
من ماء دجلة أجرى سلسبيل ندى | يروي العطاش من ازمصاء أصفاها
وانساب جدولها في صحن دائرة | قطب المجرة يحكي عن مزاياها
أنعم بها كعبة للانذين بها | لقد صفا زمزم الجدوى ومرواها!
تطوعا واحتسابا من فواضله | تحددت وسمت أركان علياها
فيالها منة لله خالصة | تفتر عن شنف الحسنى ثناياها
صح القبول جرى نوراً فأرخه | تجري وينبوع بسم الله مجراها

* سقاية جامع الشيخ عمر (ص ٥٣)

يجري اليها الماء من دجلة بقناة ولعل اسمعيل باشا هو الذي أنشأها يوم أصلح الجامع وبنى بعض جهاته في سنة ١٢٧٠هـ.

* سقاية جامع الحاج فتحي (ص ٥٦)

* سقاية جامع السكهية :

أنشأها كامل بك بن أمين افندي ابن زند مفتي الحنفية ببغداد ، حينما بنى الجامع سنة ١٣٢١هـ

* سقاية جامع نازنده خاتون :

أنشأتها نازندة خاتون زوج علي باشا الشهيد سنة ١٢٦٣هـ ، وعلى جدارها هذه الأبيات المشتملة على التاريخ :

لنازنده خاتون المحامد ، قد غدا | لها عند ذكر الصالحات ثناء
فكم عمرت لله بيتا ، وكم لها | بجبر قلوب المعدمين بناء

(١) تداعت للسقوط وانقطع عنها الماء ، ولا سائل عنها ولا مسؤل !

لأعمالها المرضي (؟) عند إذنها　　من الصدقات الجاريات بقاء
فذي قعة من بعض آثار برها　　بها منهل عذب المياه صفاء (؟)
أعدت لوراد السبيل فأرخوا　　بموردها للشـــاربين شفاء

* سقاية جامع النعمانية (ص ٧٥)

* سقاية مسجدالنقيب :

أنشأها السيد سلمان النقيب في مسجده خارج الباب الشرقي (ص٨٠)

سنة ١٣١٢هـ

٢ - مساجد الجانب الغربي وآثاره

الجوامع - المساجد - المدارس - السقايات

ا - الجوامع

جامع عنانه

هو من الجوامع القديمة العهد، واسع الساحة، رحب الفناء، كبير المصلى، رصين البناء. وفيه خطيب وامام ومؤذن، ولم نر على جدرانه كتابات تدلنا عليه. وهو قريب من الجسر القديم.

جامع الشيخ صندل

هو من الجوامع القديمة العهد على الجادة التي تؤدي الى جامع الشيخ معروف الكرخي ومقبرته. تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة، وفيه مدرس وخطيب وامام وواعظ وجملة من الخدم. وهو رحب الساحة، واسع المصلى مفروش باحسن الفرش. وقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتجديد عمارته بعد أن اشرف على الخراب وذلك سنة ١٣٠٩ هـ فشيدت أركانه وعقدت قبة مصلاه على أربع أساطين من الرخام، وبني أمام المصلى رواق معقود سقفه بالآجر، وبنيت فيه مدرسة لطيفة وعدة حجر للطلاب والفقراء والغرباء؛ وكمل كل ذلك سنة ١٣١١ هـ، وقد أرخ احدهم عمارته وتجديده بقوله:

إن كان هارون بنى شامخاً ... في جانب الكرخ وركناً مشيد
فان سلطان الورى قد بنى ... في سوحه هذا البناء الفريد

قد كان قدماً مسجداً جامعاً محاسناً في كل يوم يزيد
يذكر فيه الله سبحانه ويبذل العلم به للمريد
فكم حوى من عابد خاشع فيما مضى وكم حوى من رشيد
فهد هذا الدهر أركانه وما رأى في عصره من يعيد
فشاده القرم إمام الهدى خليفة الله المليك السعيد
بشرى لنا قد شاده أرخوا فخر الملوك الصيد عبد الحميد

جامع قمرية (١)

هو من المساجد القديمة في الجانب الغربي على ساحل دجلة تجاه دار الحكومة التي في الجانب الشرقي. وهو أصح مساجد بغداد قبلة. فيه مصلى واسع تظله قبة رفيعة السمك فيه منافذ من جهة القبلة على حديقة من أوقاف المسجد وحول القبة مئذنة بيضاء مبنية بالآجر والجص قديمة العهد رصينة البناء.

ذكر الزبيدي في تاج العروس شرح القاموس في مادة (ق م ر) أن مسجد قمرية بضم القاف وسكون الميم ونسب بعض أهل العلم الى هذا المسجد وقال بعض المؤرخين: ان هذا المسجد من أبنية الناصر لدين الله الخليفة العباسي. والوضع والبناء يشهدان له بذلك، وقمرية هذه لعلها من أهل بيته او احدى حضاياه من الجواري، والله أعلم.

وقد جرت على هذا المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت احمد باشا والي بغداد سنة ثلاث وستين ومائة والف من الهجرة وكانت زوج عمر باشا الذي كان والياً على بغداد سنة سبع وسبعين ومائة والف كما دل على ذلك مضمون الابيات المحررة على باب المصلى. ثم اختل البناء ومال الى الانهدام سنة ثلاثين ومائتين وألف فتداركه سعيد باشا والي بغداد يومئذ

(١) بفتح القاف والميم.

فأعاد عمارته الى أحسن مما كانت عليه ، وعند ختامها كتبوا تاريخها على محراب المصلى ، وهو هذه الابيات :

جوامع ذكر الله بالخير أسست * ولازال بانيها يبوء بنعمة
فيامسجداً من بعدما عرصاته * تعفت على طول المدى فاقشعرت
وصارت حضيضاً يحجل الطيرفوقها * وأركانه أقوت وبالنكر هدت
بناه وزير العدل ثم أجاده * برصف له الاهرام دانت فذلت
وزير بأعباء الخلافة قائم * تراه سليمان الوزير الخليفة (؟)
حباه (سعيد) أسعد الله نصره * وأسعدنا فيه باحسن سيرة
الى أن أتم الصنع قلت مؤرخاً * سعيد مقيماً جامع القمرية

وهذا المسجداليوم تقام فيهالجمع والاعيادوسائرالصلوات،وفيهخطيبوامام وجملة من الخدم ، والمصلى مفروش باحسن الفرش ، وفيه بضع حجر يقيم فيها خدام المسجد .

ومن الكتابات التي على جدرانه هذه الابيات :

وعائشة الخير قد عمرت * مكان الوضوء فضاهى قصورا
وأجرت به من نمير المياه * زلالاً يروي العطاش دهورا
بمتجر أيمانهم أرخوا * سقاهم ربهم شرابا طهورا[1]

---

(١) تنبيه : كتب الاب انستاس الكرملي ببغداد فصلا مقتضباً عن خزائن كتب العراق نشره جرجي زيدان في الجزء الرابع من (تاريخ آداب اللغة العربية) ، وقد زعم فيه ان في جامع القمرية خزانة سرقت أغلب كتبها ولم يبق منها الا المبذول الذي لايؤبه له ، وهذا وهم من جملة أوهامه الشائعة التي نبهنا الى بعضها في ص ٥٣ ؛ فانه ليس في هذا الجامع خزانة بل ولا كتاب ، وانما الخزانة هي في المدرسة العمرية شرقي جامع العمرية وقد بادت ولم يبق منها لا نفيس يؤبه له ولا مبذول لايؤبه له !

جامع الكاظمية [1]

﴿ وفي ضمنه ذكر جامع أبي يوسف وجامع السلطان سليم العثماني ﴾

لما كانت قصبة الكاظمية تعد في العصر العباسي إحدى محلات الجانب الغربي من بغداد ناسب أن نذكر جامعها في كتابنا فنقول :

ان هذا الجامع رحب الفناء ، مشيد الارجاء ، رصين البناء ، قد زخرفه الشيعة أتم الزخرفة وزينوه بابدع النقوش ؛ وفيه قبر الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد وعليهما قبة عظيمة غشي سطحها بالذهب ، وترى الشيعة يطوفون حولها طواف الحجيج بالكعبة المعظمة ، ولهم مواسم للزيارة يجتمع منهم هنالك الالوف المؤلفة ويحضرون لها من بلاد شاسعة

وكانت هذه المقبرة تسمى مقابر قريش فلما توفي موسى الكاظم رحمه الله دفن خارج القبة قبة جعفر[2] بن ابي جعفر المنصور ، وذلك لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة [3].

ثم وسع المحل بموت الامين محمد بن هرون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر ، و بني على قبري موسى ومحمد مشهد [4] علقت فيه القناديل و أنواع

---

(١) واقعة على بعد اربعة اميال من الكرخ وانت لصعد دجلة وبينها وبين النهر نحو ميل ، وسكانها نحو عشرين الف نسمة وكلهم شيعة والقبائل التي حولها كلهم من اهل السنة والجماعة . وقد كانت قديماً ــ كما ذكر الاستاذ المؤلف ــ تعرف بمقابر قريش ولعل اسم (الكاظمية) اطلق عليها بعد از سقطت بغداد بيد التاتار سنة ٦٥٦هـ وتحولت مقابر قريش الى قرية صغيرة منفصلة عن بغداد .

(٢) توفي سنة ١٥٠ هـ وهو اول من دفن في (مقابر قريش) . ودفن بعده رجلان من ابناء الحرث بن عبدالمطلب ثم الامام موسى الكاظم ثم الامين ثم امه زبيدة ثم الامام محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ.

(٣) اخباره في وفيات الاعيان ج ٢ص ١٣١ .

(٤) لم يذكر الاستاذ تاريخ بناء المشهد ولعله بني في القرن الرابع كما يؤخذ

الآلات . قال ابن خلكان : « وقبره (قبر موسى الكاظم) هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش مما لا يحد » .

ولما استولى الشاه اسماعيل الصفوي على العراق سنة ٩١٤ هـ نقض المشهد والقبة وأعاد بناءها على وضع بديع ، وغشيت الجدران بالذهب الخالص داخلاً وخارجا وعلقت النفائس والتحف ولما تم ذلك حسبما أمر كتب على جدرانها ما نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم * أمر بانشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم ! ظل الله على جميع بني آدم ! ناصر دين جده الاحمدي ، رافع أعلام الطريق المحمدي ! أبو المظفر الشاه اسماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي ، خلد الله تعالى ألوية الدين المبين بملكه وسلطانه، وأيده لهدم قواعد أهل الضلال بحجته وبرهانه ؛ وحرر ذلك في سادس شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين وتسعمائة الهلالية) .

ويقال : إن كثيراً من المباني التي أمر بانشائها وعمارتها لم تكمل وإنه مات سنة ثلاثين وتسعمائة .

فلما استرد العراق السلطان العادل الغازي (سليم) خان العثماني وجاء بنفسه الى بغداد وذلك سنة ٩٤١ هـ أمر حينئذ باكمال تلك العمارة ، وأنشأ حولها (جامعاً عظيماً) تقام فيه الجمع والجماعات . وهو الى اليوم على رصانته ووضعه ، وبنى منارة في الركن الذي بين الشرق والشمال ، وهي أول

من بعض الاخبار وقد احترق (في صفر سنة ٤٠٣) في الفتنة الكبرى التي سيذكرها المؤلف عند ذكر مسجد زبيدة ، وعمر في القرن السابع الهجري عمره البويهيون فيما اظن ، وبقي على ذلك الى ايام وزارة ابن العلقمي فعمر القبة التي نقضها بعد ذلك اسماعيل الصفوي وشادها على وضع جديد كما فصله الاستاذ المؤلف .

منارة شيدت هناك ، وتحتها — عند باب الدرج الاسفل على ارتفاع قامة عن الارض — صخرة منقوش فيها بحروف بارزة أبيات باللغة التركية مشتملة على تاريخها ، وهي :

همت كاظم وجواد قلوب ... بو مناره قيا منه اقدام
بخت سلطان سليم دن پرود ... أول ملاذ جهان وقطب أنام
مظهر عدل ومظهر إحسان ... ماحي كفر حامي إسلام
قلدى امداد أمر عالي ايله ... ويردى حق بو مناره اتمام
فضلي اخلاص ايله ديدى تاريخ ... اولدى بوجاهر مناره تمام[1]

وفي صحن جامع الكاظمية حجرة صغيرة فيها قبر ابراهيم وقبر أخيه جعفر ابني موسى الكاظم ، وقبد عمرهما سليم باشا الفريق وشاد القبة التي عليهما ، وذكر ذلك عبد الباقي الفاروقي في أبيات نذكر منها شطر التاريخ وهو قوله (شاد سليم مرقد الفرقدين) .

وفي سنة ثلاثمائة والف استاذن من الحكومة العثمانية (فرهاد ميرزا) أحد أكابر الفرس أن يجدد سور الجامع ، والمشهد ، وأن ينشيء بعض العمارات ، فأذنت له فبنى السور كله بالحجر الكاشاني الملون ، وفرش الساحة بالمرمر ، وعمق الاسراب التي هي مدفن أموات الشيعة ، وكتب على السور سورة

---

(١) قلت : وفي أوائل المائة الثالثة عشرة عمر السلطان محمد القاجاري ماتهدم من الصحن وابتاع بعض الدور المجاورة له من الجنوب الغربي وأقام ثلاثة منائر على مثال منارة السلطان سليم العثماني ثم أقام أربعاً أخرى صناراً في كل ركن واحدة وغشى ذروتها بالذهب كما غشى القبتين أيضاً . وجاء بعده فتح علي شاه فزخرف الحرم بقطع المرايا ، ثم جاء من غشى بعض الايوانات بالذهب وبنى الصفة الشرقية والصفة الغربية . . . وقد وضع بعض الكاظميين المعاصرين تاريخاً للكاظمية شرح فيه كل ذلك مفصلا فلرجع اليه .

للعاديات والقدر والضحى والحاقة ، وبعض الأخبار نحو ما يعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » ، وكتب في جهة تأريخ العمارة وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم * قد وقع الفراغ من هذا الصحن بأمر من قصد بعمله وجه المنان ، وبلوغ غرفات الجنان ، الجناب المستطاب الأشرف الأمجد معتمد الدولة فرهاد ميرزا أدامه الله تعالى وأعز إجلاله وإقباله بجاه محمد وآله الطاهرين سنة ثمان وتسعين بعد المائة والالف من الهجرة النبوية المقدسة على صاحبها آلاف التحية والثناء .

* * *

وقد اتصل بهذا الجامع والصحن جامع الامام أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب أبي حنيفة ، وقبره عن شمال مصلاه وعليه قبة كبيرة ؛ والجامع تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات ، وهو رصين البناء ، قويم الارجاء [1]

وكان أبو يوسف على جانب عظيم من التقوى والعلم والورع . تولى قضاء القضاة في بغداد على عهد خلافة هرون الرشيد الخليفة العباسي ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة [2]

جامع الشيخ معروف الكرخي

هذا ايضاً من المساجد القديمة العهد في الكرخ . وهو اليوم خارج المدينة وحوله مقبرة عظيمة . تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات [3] . وفيه

(١) وقد جددته وزارة الاوقاف بعد الاحتلال .

(٢) ترجمته في وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٠٣ الى ٣٠٠

(٣) لا أدري من الذي أجاز لهؤلاء المسلمين الصلاة في جامع معروف والجنيد الجيلي والسهروردي و و . وهي كلها مقابر باطنها وظاهرها دفائن وجثث من طويل

مصلى واسع وساحته صغيرة ، وله خطيب وامام وخدم . وفي سنة ١٣١٠ هـ اصلحه والي بغداد وهو يومئذ حسن باشا وزخرف المصلى وبنى على قبر الشيخ معروف قبة وهو في شرقي المصلى من جهة القبلة في سرب من الارض معقود عليه عقد بالآجر والجص والصندوق الذي في المشهد اليوم انما هو فوق السرداب على محاذاة القبر وهذا السرداب طويل جدا وعمقه نحو اثنتي عشرة درجة ، وهناك بئر تزعم النساء الجاهلات ان من اغتسلت بمائها حملت ولهن مواسم للاغتسال بهذا الماء !

والشيخ معروف الكرخي من مشاهير الزهاد . كان أبواه نصرانيين فأسلماه الى المؤدب فقال له : ان الله ثالث ثلاثة ! فقال : بل هو الله أحد ، فضربه ، فهرب وأسلم على يد موسى الرضا (رض) ورجع الى أبويه فأسلما ، وله فضائل كثيرة ، ومن كلامه « علامة مقت الله للعبد أن يراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه » وقال « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق »[1] .

جامع الشيخ موسى

قرب جامع الشيخ معروف الكرخي في آخر المدينة جدده الشيخ موسى الجبوري سنة ١٢٩٤ هـ فنسب اليه ولم يصلني مبتدأ خبره . وهو مسجد واسع تقام فيه الجمع والأعياد والصلوات المكتوبة ، وقد كتب على جداره :

(بسم الله الرحمن الرحيم * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم

الازمان والآباد ، وكتب الشريعة الاسلامية كلها تحظر الصلاة في المقابر ؟

(١) توفي سنة ٢٠٠ وقيل ٢٠١ وقيل ٢٠٤ هـ وترجمته في وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠٤

الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين * قد عمر هذا المسجد الشيخ موسى الجووري بن الحاج حمد بن السيد عبد الله من خالص ماله الحلال، بعد ماوصل من وقوعه الى الزوال، جزاه الله تعالى جنان النعيم ، وأناله المقام العالي عند الرب العظيم ، وذلك سنة اربع وتسعين ومائتين والف)

ب - المساجد

مسجد براثى - او - المنطقة

هو من مساجد بغداد القديمة العهد، يتبرك به الشيعة الى اليوم لما ثبت عندهم ان الامام علياً كرم الله وجهه بعد فراغه من واقعة النهروان ورجوعه عبر دجلة وصلى باصحابه عند دير راهب كان قريباً منهـا فاتخذ شيعته مصلاه مسجداً .

وبراثى وزان حبارى [1]، وفي كتاب مجمع البحرين « براثى بالضم محلة بجانب بغداد ومسجد براثى معروف هناك وهو مسجد صلى فيه امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لما رجع من قتال اهل النهروان » [2]

(١) قال الحموي : براثى بالباء المثلثة والقصر .

(٢) جاء فى مناقب بغداد الذي نشرناه سنة ١٣٤٢ (ص ١٤) « وفي سوق العتيقة مسجد تغشاه الشيعة وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام صلى هنالك ، وقيل انه مادخل بغداد وانما سلك طريق المدائن فى ذهابه الى النهروان ورجوعه » وفى ص ٢١ و ٢٢ منه « وكان في براثى مسجد يجتمع فيه قوم من الشيعة

وظاهر هذا ان المسجد كان قبل صلاة الأمير لكن يجوز ان يراد بالمسجد موضع السجود لا المسجد المتعارف بين المسلمين .

وهذا المسجد اليوم يسمى(المنطقة) وهو على نحو ميل او أكثر غربي الجانب الغربي من بغداد بين بغداد وبين الكاظمية عن يسار الذاهب من بغداد الى الكاظمية ، وحوله مقبرة لموتى الشيعة ، والشيعة يتبركون بزيارته ويزعمون ان المهدي المنتظر ، يصلي فيه اذا ظهر ، وقد رأينا عند بئر هناك صخرة عظيمة اسطوانية الشكل طولها نحو ذراعين أوأكثر وعرضها نحو ذراع يقولون ان الامير اقتلعها بيده وذلك انه لما وصل الى هذا المكان عطش هو وأصحابه ولم يكن ثمّ ماء حيث كانت دجلة اذ ذاك بعيدة عنهم فحفروا بئراً فصادفوا صخرة عظيمة عجزوا عن قلعها فأخبروا الاميرفاقتلعها بيده ! قالوا: وكان هناك دير فيه راهب فمارأى ذلك نزل منه وقال لايقلع مثل ذلك الا نبي أو وصي وأسلم على يده ! ومن الجهلة من يزعم في هذه الصخرة غير ذلك .

ويقال في وجه تسمية هذا المسجد (بالمنطقة) أن علياً تمنطق بسيفه بعدأن صلى هناك، وقيل: سمي بذلك لاعوجاج دجلة هناك فكأنها المنطقة!

....

وربما ذكروا الصحابة فامر بكبسه عليهم فاخذوا وعوقبوا وحبسوا وهدم المسجد وعفي اثره ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خراباً الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فامر الامير بجكم باعادة بنائه فبني بالآجر والجص وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه وكتب في صدره اسم الراضي بالله، ثم امر المتقي بالله بنصب منبر فيه واقيمت الجمعة فيه في سنة تسع وعشرين وثلثمائة . . . ومازالت تقام فيه الى ان تبطلت بعدالخمسين والاربعمائة » . وقد ادرك ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ بقايا من حيطانه . قال « وقد خربت في عصرنا واستعملت في الابنية » معجم البلدان ج ٢ ص ٩٦ طبع بمصر .

مسجد الشيخ بشار

فيه مصلى صغير و بعض حجر، وفيه قبر الشيخ بشار ولم اقف على ترجمته ولاخبره . وقد انهدت اركانه فى سنة ١٣١٠هـ فاقامه بعض اهل الخير وقد قيل فى ذلك :

ذا مسجد رب التقى انقذه * من امرئ خان وبالحق غدر

اسسه بيتاً له مذ درست * اطلاله وقد خفى منه الاثر

فالسعد مذ تم لنا بناؤه * أرخه وقال بالله ظهر

مسجد الجنيد

هذا مسجد قديم العهد فى الجانب الغربي خارج البلد [١] . فيه مصلى كأخوص القطا ، وله امام وخادم .وقد وهى بناؤه سنة١٢٦٩ هـ فاعاده محمد نامق باشا والي بغداد وقد نظم بعضهم فى ذلك مقطوعتين تقتصر على بيت التاريخ من احداهما ، وذلك قوله :

عام الف ومائتين وتسع * بعد ستين قد اتم العماره

وقبر الجنيد في هذا المسجد وعليه قبة صغيرة . والجنيد [٢] اصله من نهاوند ومولده ومنشؤه العراق . قرأ الفقه على ابي ثور وكان يفتي فى حلقة درسه .ثم صحب خاله السرى السقطي والحرث المحاسبي وغيرهما من الاكابر، وفضائله مشهورة . توفي سنة ٢٥١ هـ ودفن عند خاله السري في المقبرة الشونيزية .

وفى هذا المسجد دفن كثير من الصلحاء والعلماء [٣] .

(١) وهو محاط بمقبرة كبيرة .

(٢) ترجمته في وفيات الاعيان ج ١ ص ١١٧ (٣) وقد دفن الاستاذ المؤلف عليه رحمة الله فيهذه المقبرة مساء رابع شوال ١٣٤٢ هـ تجاه المسجد في القسم الثاني

مسجد حبيب العجمي

هو قريب من جامع القمرية والمدرسة العمرية وقريب من دجلة ايضاً[1].

فيه مصلى واسع ورواق وحجرة وله امام ومؤذن وخادم ، والمصلى مفروش بالحصر والبسط . وفيه قبر حبيب العجمي ، ومن الناس من قال انه توفي في البصرة . وكان أصله من ملوك فارس. أخذ عن الحسن البصري وكان كثير الخوف من الله تعالى : يبكي الليل كله ولا يشغل عن طاعة ربه وذكره وقتاً من الاوقات . انتهت اليه الرآسة بعد الحسن البصري ، وممن تخرج عليه داود ابن نصير الطائي ؛ وتوفي في حدود سنة أربعين ومائة .

قال صاحب (روضة الناظرين) جم من الناس على أن مرقده في الجانب الغربي من بغداد ، وكراماته ومناقبه مشهورة ، ومن لطيف كلامه « إن من سعادة المرء أن تموت معه ذنوبه اذا مات » .

وقد جدد عمارة هذا المسجد رشيد باشا بن محمد فيضي الزهاوي ، وذلك سنة ١٣١٦هـ فهو اليوم من المساجد المعمورة بالعبادة .

مسجد الخنيني

مسجد قديم العهد ، ضيق المصلى ، صغير الفناء . وكان من المساجد التي أخنى عليها الدهر ورضها بكلكله فتلافاه ذو الهمة الشماء الشيخ عبدالله ابن صالح من آل خنين أحد رجال نجد واكابرها المقيمين في بغداد ، فجدد عمارته سنة ١٢٩٢هـ ، كما تنطق بذلك هذه الابيات وهي مكتوبة على جداره :

من المقبرة ، ثم أخوه وزير المدلية السيد مصطفى الالوسي بعده وقد دفن الى جنبه ، وفيها قبلهما أبوهما العلامة السيد عبد الله بهاء الدين وعم أبيهما الاديب الشاعر السيد عبد الحميد .

(١) بينه وبينها مدرسة دار المعلمين .

وفقك الله أبا صالح * لكل ما فيه يقام الهدى
ودمت عبد الله في نعمة * طيبة ترغم انف العدى
بنيت بالكرخ لنا مسجداً * ما حله المجرم الا اهتدى
للعلم والزهد حوى معشراً * لله فيه ركعاً سجدا
بالجود قد تم فأرخ به * على التقى أسسته مسجدا

مسجد رأس الجسر

قريب من دجلة عند الجسر ، وهو قديم العهد ، فيه مصلى صغير وفناء مثله وحجر ، وله إمام ومؤذن وخادم . وقد جدد عمارته داود باشا والي بغداد فلما فرغ منها أرخها الأديب الشاعر السيد عمر رمضان [1] بهذه الأبيات الثلاثة وهي مكتوبة بالكاشاني على جدار المصلى :

ذا مسجد قد شكا ضيقاً فوسعه * داود من ينصف المشكو والشاكي
وكان منحرفاً محراب قبلته * قدماً فسواه عن علم وادراك
مذ تم بنيانه نادى مؤرخه * داود شيد هذا المسجد الزاكي

مسجد زبيدة أم جعفر

هذا المسجد كان قرب مسجد الشيخ معروف الكرخي وقد اندرس سنة خمس وتسعين ومائة والف ، وكان واسعاً رصين البناء قوي الاركان ، ولما بنى سليمان باشا الكبير والي بغداد سور الجانب الغربي استعملت انقاضه في بناء السور ولم يبق اليوم سوى قبر زبيدة من ذلك المسجد وعليه قبة مخروطية الشكل من نوادر الفن المعماري ، وهي نحو ميل السهروردي [2] ،

---

(١) تجد ترجمته في كتابنا (مشاهير العراق) وفي مجلة المعرض البغدادية (م ٢ ص ٤١ الى ٤٤ و ٩٦ الى ١٠١) نقلا عنه .

(٢) ص ٥٦ .

وكان تأريخ العمارة داخل المشهد بالحجر الكاشي ، وقد اقتلعه من اقتلعه ، ويقول من أدركه انه حفظ شيئاً منه وهو :

[بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هذا مرقد أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهي ام الأمين محمد بن هرون الرشيد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الاولى وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين] انتهى .

وكان لزبيدة معروف كثير ، وفعل خير ، وقصتها فى حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة . قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي فى كتاب الألقاب « انها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار ، وانها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخر حتى غلغلته من الحل الى الحرم وعملت عقبة البستان ؛ فقال لها وكيلها : تلزمك نفقة كثيرة ، فقالت : إعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار . وانه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن ، وكان يسمع فى قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن ، وان اسمها أمة العزيز ولقبها جدها أبو جعفر المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها . قال الطبري فى تأريخه : أعرس بها هرون الرشيد فى سنة خمس وستين ومائة ، وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين فى جمادى الاولى ببغداد رحمها الله تعالى ، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور سنة ست وثمانين ومائة رحمهم الله تعالى أجمعين[1] .

وما ذكرناه من أن تربة زبيدة قرب تربة معروف هو الشائع عند أهل

---

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٨٩ الى ١٩٠ .

بغداد ، والتحقيق خلاف ذلك ، ولعل التربة التي في مقبرة معروف لزبيدة أخرى ، وأما زوجة هرون الرشيد فقبرها في جوار قبر موسى بن جعفر كما يدل على ذلك ما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ثلاث وأربعين وار بعمائة حيث قال [ج ٩ ص ٢١٤ و ٢١٥ طبع بولاق] :

« ذكر الفتنة بين العامة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام . قال : في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، وعظمت أضعاف ما كانت قديماً فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما في الصدور من الاحن ، وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ففرغ أهل الكرخ وعملوا ابراجاً كتبوا عليها بالذهب « محمد وعلي خير البشر » فأنكر السنة ذلك وادعوا ان المكتوب « محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر » وانكر أهل الكرخ الزيادة ، وقالوا ما تجاوزنا ماجرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ، ونقيب العلويين ، وهو عدنان بن الرضى ، لكشف الحال وانهائه ، فكتبا بتصديق قول الكرخيين ، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الملك الرحيم بكف القتال ، فلم يقبلوا ، وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الاغراق في الفتنة ، فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله الى الحنابلة ، ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة الى الكرخ ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه ، فعظم الأمر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل ، فأغروا بهم السنة وتشدد رئيس

الرؤساء على الشيعة ، فمحوا « خير البشر » .وكتبوا « عليهما السلام »
فقالت السنة : لا نرضى الا ان يقلع الآجر الذى عليه محمد وعلي ، وأن لا يؤذن
« حي على خير العمل » وامتنع الشيعة من ذلك ، ودام القتال الى ثالث
ربيع الأول ، وقتل فيه رجل هاشمي من السنة فحمله أهله على نعش وطافوا
به في الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة ، واستنفروا الناس للأخذ بثأره ،
ثم دفنوه عند احمد بن حنبل ، وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ماتقدم ،
فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن ، فاغلق بابه ، فنقبوا في سورها
وتهددوا البواب ، فخافهم وفتح الباب ، فدخلوا ونهبوا مافي المشهد من قناديل
ذهب وفضة وستور وغير ذلك ، ونهبوا ما في الترب والدور ، وأدركهم الليل
فعادوا ، فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد ، وأحرقوا جميع الترب
والآراج ، واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار والقبتان
الساج اللتان عليهما ، واحترق مايقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه :
معز الدولة وجلال الدولة ، ومن قبور الوزراء والرؤساء (وقبر جعفر بن
أبي جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة) وجرى من
الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله ، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا
وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما الى مقبرة أحمد بن حنبل ،
فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر الى جانبه ، وسمع أبو تمام نقيب
العباسيين وغيره من الهاشميين والسنة الخبر ، فجاؤا ومنعوا عن ذلك ، وقصد
أهل الكرخ الى خان الفقهاء الحنفيين ، فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد
السرخسي ، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء ، وتعدت الفتنة الى الجانب الشرقي
فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والاساكفة وغيرهم ، ولما انتهى خبر احراق
المشهد الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ

لانه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة ، فقطعت فى أعماله خطبة الامام القائم بأمر الله فروسل فى ذلك وعوتب فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد مافعلوا ، وأعاد الخطبة الى حالها » انتهى كلام ابن الأثير .

فتبين من هذا أن قبر زبيدة العباسية فى جوار قبر موسى بن جعفر وأن المشهور اليوم « وهو الذي فى مقبرة باب الدير قرب تربة معروف الكرخي » لعله تربة امرأة من بنات الامراء أو زوجاتهم أو تربة ملك من الملوك .

وقد جدده ورممه في عصرنا بعض امراء الاتراك ظناً منه انه قبر زبيدة أم جعفر !

مسجد السيف

هذا المسجد مطل على دجلة شرقي رأس الجسر وهو قديم العهد ، وقد جدد عمارته داود باشا والي بغداد وعند الفراغ من العمارة أرخه الشيخ صالح التميمي البغدادي[1] بقوله :

كم شاد داود بوادي المدى * بيتاً سمت بالفضل أركانه !

وكم بنى لله من شاهق * يجزى على الطاعة سلطانه !

فعج الى الكرخ ترى مسجداً * قد أورقت بالعفو أفنانه

بالصلوات الخمس قم واستعن * على تقى أسس بنيانه

والسيف موضع على دجلة يباع فيه ما يرد فيها اليه من الاطعمة ونحوها وقد عمره داود باشا أيضاً وأرخ ذلك الشاعر ختام عمارته بهذه الأبيات المحررة على الباب الغربي :

---

(١) تجد ترجمته وأمثلة من أشعاره في كتابنا (مشاهير العراق) .

أقسم بالله الذي زينت * سماؤه بالخنس الكنس
ان الذي شيد هذا البنا * ذو همة بالفلك الأطلس
داود ذو الأيدي ومن علمه * ماحل في شخص سوى هرمس
فقل لمن جد على مكسه * من ناطق فيه ومن أخرس
أوف اذا كلت ومن بعد ذا * أرخ وبالميزان لا تبخس

١٢٤٠ هـ

وله أيضاً — وقد حرر على الباب الآخر، وهو الباب الشرقي — من أبيات ذهب الكثير منها :

دع هرمي مصر وبانيهما * ولا تقل ذا من عجيب الزمان
وعج الى دجلة من كرخها * تجد بناء دونه الفرقدان
شيده داود عن حكمة * تخفى وسر العدل منه أبان
لكي اذا باع به واشترى * ذو سعة يخشى مكين مكان
وفي الأقاليم جرى أرخوا * من يخسر الميزان حكماً يهان

١٢٣٦ هـ

وداخل السيف قبور لبعض الصالحين يقال منهم الامام الاشعري .

مسجد علاوي الجص

هو قريب من المحل الذي يباع فيه الجص عند رأس الجسر عن يمين الذاهبين الى المقبرة الكرخية وهو نحو ثلاثين ذراعاً طولاً وعرضاً . وقد اختلت اليوم مبانيه ولكنه تقام فيه الصلوات أحياناً . وقد حررت على جداره هذه الأبيات :

عاد ذا المسجد كالبيت المقدس * عام أمن بعدما قد كان مدرس (؟)
وبعبد القادر الندب الذي * شاد أركان مبانيه تهندس

رغبـــةً فى الأجر قد عمره * دام للتوفيق للخيرات مغرس
وعماد الدين فيـه قد غـدا * ساطعاً يبدو اذا ما الليل أغلس
وبه فجر الهـدى ينشق عن * فلق النسـك اذا الصبح تنفس
ولسان الحق .قد أرخـه * مسجد للزهـد بالتقوى تأسس

١٢٥٣هـ

مسجد علاوى النورة

مسجد صغير قريب من الجسر فيه مصلى عليه قبة من الآجر والجص وساحة المسجد أيضاً صغيرة .وفيه مدرسة وبعض الحجر . أنشأه عبدالله بك الشـاوي سنة ١١٧٥ هـ ولم يزل تقام فيه الصلوات ولـكن لا تدريس فيه اليوم . وهذا نص ما كتب على جداره :

عمر ذا المسـجد مع * مدرسة فيها النقى قد رسا
الشهم عبد الله رب الندى * ومن رقى السبع العلى دائسا
فيا له من مسجد نوره * أزال عنا الحالك الحندسا
قد جاء فرداً حر تأريخه * على تقى الرحمن قد أسســا

١١٧٥

مسجد ابن غنام

مسجد لطيف الوضع متقن الأنشاء واقع فى محلة الشيخ بشار . فيه مصلى صغير وفناء مثله وحجر، وله امام وخادم . وقداشرف على السقوط سنة ١٢٥٣ فعمره صاحب الخيرات والمبرات الشيخ سلمان الشهير بابن غنام العقيلي [1] وقد كتبت على جداره ابيات تشتمل على تاريخ العمارة ، منها :

---

(١) قتل سنة ١٢٥٨ هـ ورثاه السيد عبدالغفار الاخرس بأبيات تشتمل على تأريخ قتله (الطراز الانفس فى شعر الاخرس ص ٤٠٧) .

اجل مكان فى الانام تشيدا * ترى ركعا لله فيه وسجدا
بناه (ابن غنام) لطاعة ربه * هو اليوم بانيه سيحظى به غدا
باحسانه الفرد استقام مؤرخاً * (سليمان) فى الاسلام أثر مسجدا

١٢٥٣ هـ

مسجد النبي يوشع

هو مسجد صغير قرب مسجد الجنيد يقال ان يوشع عليه السلام قد دفن فيه وليس له سند صحيح[1]، وقد كان اليهود يزورونه في مواسم مخصوصة حتى تجاسروا على دفن موتاهم فيه، فدفنوا فيه سنة ١٣٠٥ هـ بعض احبارهم فقام عليهم المسلمون وكادوا يفتكون بهم حتى صدرت ارادة سلطانية بنبش قبره وإخراجه، فاخرجوه يومئذ ودفنوه بمقابر اليهود بعد أن تغير وانتفخ وأنتن ومنذ ذلك اليوم منع اليهود من الوصول الى هذا المسجد.

وفى هذا المسجد حجرة صغيرة نحو القبلة فيها القبر وعليها قبة صغيرة. وعمارته جيدة.

---

(١) قلت: ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى تاريخه (ج ١ ص ٢٢٩) طبعة مصر: انه دفن في جبل افرايم. وفي تاريخ ابن أبي عدسة ان يوشع بن نون بن اليساماع بن عيهود دفن في كفر حارس من نابلس وقبره بها ظاهر يزار فى حظيرة هناك. وفي الحظيرة هود وذو الكفل وحارس هو وآله يوشع ثلاثة أنبياء. هكذا يقولون. وقيل بالمعرة، وله من العمر مائة وعشر سنين.

ج - المدارس

مدرسة السويدي

هذه مدرسة علية ، وروضة قدسية ، كانت أغصان العلم فيها مورقة ، ورياض الادب بالانوار مؤتلقة ؛ شيدها العلامة الكبير صاحب المؤلفات المفيدة الشيخ محمد امين السويدي رحمه الله [1] سنة ١٢٣٩ هـ وكانت منزله ومحل سكناه ، كما كانت للفضل مربعه ومغناه ، وترجمته قد فصلتها في كتاب (المسك الاذفر)

وهذه المدرسة كانت رصينة البنآء ، واسعة الارجآء ، كأنها قد لبست من ملابس الربيع ثيابه المطرزة ، ومن البهاء خلعه المفوفة ، وكانت طبقتين: عليا ، وسفلى [2] وعند ختام عمارتها أرخها بعض الشعرآء بهذه الابيات المكتوبة بخط حسن على جدار مجلس العلم وهي الى اليوم على حالها :

يابن علي حزت علم الورى * وفقت بالفضل على العالمين

جددت داراً للتقى مخلصاً * كي تبذل الدرس الى الطالبين

---

(١) هو من نوابغ علماء الشريعة الاسلامية فى العراق . ولد ببغداد في اواخر سنة ١٢٠٠ هـ ، وأخذ العلم عن أبيه حافظ عصره أبي المعالي الشيخ علي السويدي وغيره ، وعانى التأليف وهو شاب فصنف كتباً مهمة احصيناها فى كتابنا (مشاهير العراق) ، ومن أجلها كتاب الصارم الحديد منه نسخة في المكتبة النعمانية بمرجان في مجلدين عظيمين ، وكتاب التوضيح والتبيين شرح كتاب أبيه (العقد الثمين) ، وكتاب سبائك الذهب فى أنساب العرب وهو مطبوع ، ونقد أحاديث احياء العلوم للغزالي . . . وفضائله كثيرة . وتوفي سنة ١٢٤٦ هـ في بريدة احدى قرى نجد ودفن فيها وذلك عند قفوله من الحج ولم اعقب نسلا . رحمه الله

(٢) صارت اليوم جامعاً يسمى (جامع خضر الياس) .

دارأ بها العـــلم وبث التقى * والفضل فيها ياله مستبين
قد أزلفت للدرس حقـاً كما * أزلفت الجنـــة للمتقين
تقول للخـائف : كن آمنـاً * فانك اليـوم لدينا مكين
قل للذي استفتح أبوابهـا : * إنا فتحنا لك فتحاً مبين
في عصرها كعبة ربي غدت * فى جنـة ذات قرار معين
مذ حل فيهـا العلم أرخهـا * بشرى لدار الدرس فيها أمين

١٢٣٩ هـ

المدرسة العمرية

مدرسة لطيفة الوضع على شاطئ دجلة متصلة بجامع القمرية (ص ١١٤)

يقال ان عمر باشا أحد ولاة بغـداد ابتناها لرجل من الافاضل اسمه الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمود من أهل ماوراء النهر ، وقد كانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء ، ومثابة الاعلام ، وقد أقام فيها الجد [1] عليه الرحمة ود كرها فى مقـامته الطيفية حيث قال « . وقد لزمت الاقامة فى المدرسة العمرية ، الواقعة فى الجانب الغربي شرقي جامع القمرية ، بين طلبة أخلاقهم أرق من دمعة الصب ، بل الطف من وابل بل ادام الزهر غب الجدب ، مافيهم الا من جعل له لثم يدي لثاماً ، واتخذني دون من هو في السن أمامي إماماً ، وان كانوا أبناء أخياف لكنهم فى الحقيقة أبنـاء أعيان ، وعلى العلات لاتكاد ترى مثلهم فى زمان ؛

قوم زكوا أصلاً وطابوا محتدا * وتدفقوا جـوداً وراقوا منظرا

فبينما أنا هناك فى ليلة أصافح صفحات الكتاب الحسن ،منتظرا من حلى

(١) هو الامام العلامة شيخ كتاب عصره وعلمائه السيد محمود شهاب الدين الالوسي . ولد سنة ١٢١٧ هـ وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ وتجد ترجمه مفصلة في كتابنا (أعلام العراق) من ص ٢١ الى ٤٣ .

ليالي العبارات بروز الجنين ، فاذا بالباب ء ة يدفع ، وأخرى كعبد القفا والهازم يصفع ، فقمت امسح عن عيني غبار النوم ، ظاناً أن الذي بالباب واحد من اولئك القوم .. »

وكانت في هذه المدرسة حديقة مشتبكة الاغصان ، وخزانة كتب يعجز عن وصفها لسان التحرير[1] ، وهي اليوم خراب [2] ، لامدرس ولا طلاب ، ولا تقرير ولا كتاب .



د - السقابات

سقاية خلف اغا

هذه السقاية خارج سور الكرخ . أنشأها خلف اغا سنة ١٢٧٧ هـ في جنب حديقة له هناك يبرد فيها الماء العذب لأبناء السبيل . وهذا الرجل من المهتدين وكان من رجال الحكومة . وقد كتبت في المرمر على جدار هذا المحل أبيات نقتصر على بيت التاريخ منها ، وهو :

ياحبذا سيف سبيل ورده * ساغ فارخت : سراباً عذبا

١٢٧٧

سقاية مسجد السيف

أنشأها الوزير داود باشا عام ١٢٣١ هـ في مسجد السيف (ص١٢٩) .
وقد كتبت على جدارها هذه الابيات :

(١) انظر ص ١١٥ . (٢) جعلتها وزارة الاوقاف اخيراً مدرسة أولية للصغار الناشئين.

أرى كل مكرمة في الورى * الى غير داود لا تنسب
حبى الكرخ فى بركة سيبها * اذا نضب البحر لا ينضب
وما يتبقى الناس فى صيب * ونائل راحتـــه صيب
اذا ذقت من مائها فسنعن * بآخر ري به يعذب
وأرخ ونادِ بورادها * هنيئاً مريئاً لمن يشرب

١٢٣١ هـ

سقاية علي رضا باشا

كانت هذه السقاية فى الكرخ انشأها والي بغداد علي رضا باشا سنة ١٢٤٨ هـ وجعلها وقفاً على مقام ذي النون عليه السلام . وقد كتبت عليها قصيدة من نظم عبد الباقي العمري يذكرها ويصف ناعورتها ومنها :

بدر الوزارة في الخضراء متقد * له على (ابن كمال) فى الكمال يد
روح قد انتعشت أهل العراق به * وهكذا الروح فيها ينعش الجسد
أجرى لذي النون عين السلسبيل فما * نهر المجرة الا عندها ثمـــد
وقد أدارت على قطب العلى يده * (ناعورة) ينقضي في دورها الأمد
لاتدرك العين اطرافاً لها ابداً * فالرأس مع ذنب بالدور متحد
من البطون ظهور فى تقلبها * من غير فاصلة يبدو فيفتقد
لها الدلاء بروج وهي منطقة * أو سبحة بدراري الأفق تنتضد
تسبح الله فى سر وفي علن * وما لتسبيحها حصر ولا عدد
فيهم تصلي بمحراب القليب وما * تخر راكعة الا وقد سجــــدوا
دارت سماحاً ومن عين الجلال على * تبريزها اذحكت شمس الضحى رصد
تدق دائرة ايـــدي النسيم على * اعضادها فيزول الكرب والكمد
صريرهــا السائرات السبع أوقفها * فكادت التسعة الافلاك ترتعـد

وكل دلوله نوء يسيح حيـــا * اذا استهـل بودق اخصب البلد
فى غربها سرطان الاوج مغترب * ناء عن الأهل صفر الـكف منفرد
سمي حضرة(ساقى الحوض)سلسلها * كما تسلسل في موضونة زرد
فزمزم الماء من أنبوبهـــا وصفا * ورداً لمن جاء من راووقها برد

وبيت التاريخ

وفى ذراع العلى أومت مؤرخة * لصاحب الحوت بئراً قعر الأسد

ولم يسمع البوم صوت لناعورة ، ولا ذكر لهذه السقاية المذكورة؛ وقد عمر مثل ذلك في الموصل ايضا ، ولعل الذي حل بهذه قد حل بتلك .

سقاية نجيب باشا

انشأها سنة ١٢٦١ هـ فى (المنطقة) اومسجد براثى (ص ١٢١) فانشد العمري قصيدة مهنئاً ومؤرخاً ، وقد رسمت على السقاية ، ومنها :

أجرى محمـــد نجيب الوزرا حوضاً (اساقى الحوض) يحكي الكوثرا
يروي حديثـاً للشفـا مسلسلا ما كان والله حديثاً مفـــترى
لكل صادٍ سلسبيل عينه من نقطة الباء لقـــد تفجرا

و بيت التاريخ

ياسائلا عما جرى انظر ترى تاريخه : هذا ارق ما جرى
١٢٦١ هـ

وقد اندرست هذه السقاية منذ زمن طويل [١] .

---

(١) فرغ الاستاذ المؤلف رحمه الله تعالى من جمعه وترتيبه سنة ١٣٢١ هـ

الفوائت

ذكرت فى التصدير (ص ٤) أن قد فات الاستاذ المؤلف ذكر بعض المساجد وحملت ذلك على كونها ليست بذات بال ، لأنه انما يدون فى هذا الجزء من تاريخ بغداد أشهر ما يعرف من جوامعها ومساجدها وآثارها ، ثم قلت « انني كنت احب ان استقريها واضيفها الى الكتاب غير أني الآن مخلدالى الراحة .. وأنه لولا .. ولولا ... ما حركت بنانا ولا أجريت قلماً فضلاً عن الاصلاح والتهذيب والتعليق والقيام بشؤون الطبع ».

وفى الحق أنني لما شرعت فى الطبع اعترضتني عقبات ومشاكل افسدت علي كل لذات الراحة - بعد عناء السنين - فى المصطاف فقد اضطرتني الى أن اجيء فى أغلب الايام المدينة أقاسي فيها شدة الحر فضلاً عن عناء البحث والتحقيق حتى وجدت أن ما كنت استثقله من استقراء مالم يرد ذكره فى هذا الكتاب من الجوامع والمساجد هو اخف عبءً من عبء ذلك العناء : عناء الحر وعناء البحث ، فأمهيت سنان العزم وقصدت ذات يوم الجهة الشرقية من الجانب الشرقي من بغداد مصطحباً بعض العارفين لاستقراء مساجدها فوجدت أغلبها كما قلت فى التصدير « إن لم تكن أفاحيص قطا فهي امكاء ضباب » على أن فيها ما كان يجب على الاستاذ المؤلف ذكره لانه ذكر ما هو اقل خطراً ، وأدنى شهرة وذكراً ؛ ثم أشفقت ان يكون استقرائي ناقصاً فبدا لي ان ارجع الى « سجل الاوقاف » لأزداد تثبتاً واحيط بكل ماهنالك خبراً ، فرجعت اليه اليوم (١٥-٣-١٣٤٦) فاذا به لم يعن فيه بما ليس « تحت نظارة الوزارة » ، ثم صرت أنا وبعض الموظفين والمعمرين نستعرض فى اذهاننا مساجد الجانبين حتى وفقت لتدوين ما يأتي ملتزماً فيه طريقة الاختصار ، ومكتفياً بالاشارة دون تفصيل العبارة .

الشذاذ الى يومنا هذا وهم يزعمون انه يحيي الموتى ! أشار الى ذلك عبد الغفار الاخرس فى ابياته المشهورة فقال :

تقول العيدروسي كان يحيي   من الاموات من قد مات دهرا
أ كان شققت للبارى شريكا   فيملك دونه نفعـــاً وضرا
فويحك قد كفرت ولست تدري   ولم تبرح على هـــذا مصرا

(مسجد الشيخ كنعان) فى محلة قهوة شكر .

(مسجد الحاجة محبوبة خاتون)

(مسجد محمد الاني) فى الصدرية قرب جامع الجيلي . كان قديما زاوية ثم بناها حبيب آغا الدركزنلي مسجداً ووقف له أملاكاً .

(مسجد الملا محمد) فى محلة باب الاغا على الشارع العام عن يمين الذاهب الى الجهة الشرقية ، وقد عمرته الاوقاف وشادت حوله حوانيت وفوقه بناية كبيرة لتجعلها مكتبة عامة ولم تفعل حتى الآن .

(مسجد معروف) في محلة عبدالقادر الجيلي .

(مسجد الشيخ مكي) فى فضوة العرب من فروع محلة عبدالقادر الجيلاني

(مسجد المهدية) فى محلة المهدية ، وهو صغير جداً .

(مسجد الشيخ واصل) في فضوة مرجان من فروع محلة الشيخ الجيلي.

(مسجد هداية الله) قرب محلة أبي سيفين.

(مسجد السيد يس) مسجد صغير فى محلة رأس القرية على مقربة من جامع الاحسائي .

— ٣ —

(مدرسة الطبقجلي) الشيخ أحمد بن محمد بن اسماعيل مفتي بغداد المتوفى سنة ١٢١٣ هـ وقفها على طلاب العلم ثم اتخذها بعض الشيوخ داراً

يسكنها ولا يزال أبناؤه وأحفاده يقيمون فيها ، وهي في محلة الحيدرخانة على مقربة من الشارع العام

— ٤ —

(تكية البدوي) في رأس القرية عند الشارع العام اتخذتها وزارة الاوقاف في بنايتها الجديدة التي هي مركز الاوقاف العام اليوم مسجداً صغيراً وعينت فيه مدرساً يدرس اللغة العربية والفقه

(تكية البندنيجي) في محلة الشيخ عبدالقادر الجيلي .

(تكية الشيخ رفيع) تكية كبيرة في محلة الشيخ الجيلي ، لها أوقاف كثيرة ونحو نصف اراضي الهنيدى شرقي الرصافة من أوقافها ، والشيخ رفيع فيما ذكر لي بعض المعمرين هندي كان مجاوراً في جامع الجيلي

(التكية القادرية) على الشارع العام غربي جامع المرادية (ص ٦٢) وهي مأوى متصوفة الاكراد القادرية يقيمون فيها ظهر كل جمعة « حلقة ذكر » بغناء وتنحنح ونقر دفوف وتصفيق ، فتغص بالمتفرجين عليهم ، حتى اذا جن جنونهم وأصابهم « الحال » عربدوا وأزبدوا وهجموا على الحيطان ينطحونها برؤوسهم فتكاد تنفلق الحيطان ولا تنفلق جماجمهم ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً !

الجانب الغربي

— ١ —

(جامع الحاج امين) فى محلة سوق حمادة مركز الحصانة . كان مسجداً فاتخذ منذ نحو عامين جامعاً تقام فيه الجمعة .

(جامع خضر الياس) مطل على دجلة غربي مجلس النواب . كان قديماً مدرسة العلامة الشيخ محمد امين السويدي المذكورة فى ص ١٣٣ من هذا الكتاب ، ثم اتخذت جامعاً تقام فيه الجمعة . وقد اصلح ورمم فى هذه الايام .

(جامع عطاء) جامع معمور في محلة عطاء

(جامع الست نفيسة) فى محلة الست نفيسة من محال الكرخ الغربية على طريق (الترام) عن شمال الذاهب الى الكاظمية ، فيه قبور بعض الشيوخ .

— ٢ —

(مسجد السيد ابراهيم) فى محلة علاوي الحلة شرقي الكرخ .

(مسجد التكارتة) فى محلة التكارتة على طريق تؤدى الى دجلة .

(مسجد ثريا) بنت معروف فى التكارتة .

(مسجد حمام شامي) فى الفحامة لايعرف واقفه .

(مسجد سوق حمادة) واقع عند مقاهي سوق حمادة عن يمين الذاهب اليه من طريق الترام .

(مسجد الشواف) فى محلة سوق حمادة .

(مسجد عدوان) مسجد كبير الفناء في المشاهدة من محال الكرخ الغربية .

استدراك

(ص ١١٧)

لما أتى الأستاذ المؤلف على ذكر جامع الكاظمية استطرد الى (جامع السنة) المشهور عند الناس باسم جامع السلطان سليم وقال إن بانيه السلطان سليمان القانوني الذي جآء بغداد سنة ٩٤١ ، فعدلت عن قوله الى القول المشهور ، وزدت بعده هذه الجملة « وبنى فى الركن الذى بين الشرق والشمال الخ » ثم ذيلتها بأبيات تركية وجدتها على هامش النسخة المخطوطة . وقد ورد فيها اسم السلطان سليم فكان ذلك ايضاً من جملة الدواعي التي حملتني على متابعة القول المشهور، غير أني لم أنتبه الى قوله (فلما استرد العراق الخ) الا بعد أن طبعت الملزمة ، فان الذي استرد العراق من الصفويين انما هو سليمان القانوني ، فبقي فى العبارة لبس لا يزول الا بجعل سليم (سليمان) كما كان أولاً . ولعل هذا هو الصحيح وان لم يترجح لدي أحد الأمرين حتى الآن . واذا صح أن قول المؤلف باني الجامع هو سليمان القانوني بقي عندنا أمر المنارة ولا ريب أن ورود اسم السلطان سليم فى الأبيات يدل على أنه هو الذي أمر ببنائها وان لم يدخل بغداد على أنني قد عددت قول الشاعر التركي فى تاريخها (اولدى بوجانقرا مناره تمام)فوجدت بين بنائها وبين زمن سليم الثاني بوناً شاسعاً ...!

وقد وددت لو يتسع لي نطاق الوقت فأحل هذه العقدة . فانني ما زلت متحيراً فى ذلك على ما بذلت من الجهد فى مراجعة عشرات المؤلفات التأريخية في التركية والعربية ، ولعل بعض الواقفين يرشدنا الى الحقيقة ان شاء الله .

ص	س	خطأ	صواب
٥	١٤	وقوله وأمن ظلم	وقوله تعالى ومن اظلم
١٣	٧	•	(زائدة)
١٦	١٧	الصرخت	الصرخة
٢٥	٢	غرفة	ذروة
٢٦	٨	تكيه	التكية
٢٧	١٣	التوي	التوف
٣٩	١	مصلاة	مصلاه
٣٩	١٦	ولا	ولولا
٤١	٦	حسين	حسن
٤٥	١	الاينفع	لا ينتفع
٤٦	٦	جهته	جهتها
٤٨	٨	يعد	بعد
٤٩	٢٢	ثبتت	اثبتت
٥٢	١٢	وهيا	ومعها

ص	س	خطا	صواب
٥٤	٢١	والخلاق	والخلق
٥٧	١	بالمصلين	المصلين
٦٥	١٢	المخلصلين	المخلصين
٦٦	٦	غرافات	غرفات
٧٧	١٧ و ١١	ايالةمن	ايالة بغداد من
٧٩	١٣	وكان اعيان	وكان من اعيان
٩٨	١٨	استنناء	استثناء
٩٩	٢٣	الفبنة	النيه
١١٧	١١	بن	ابن
١١٨	٨	جانفر	جانفرا
١٣١	١٩	سلمان	سليمان
١٣٢	١	،الانام	الانام
١٣٨	١٧	ادني	ادنى
١٤١ و ١٤٣		الدركزنلي	الدركزلي

فهرس

لاهم ماحواه هذا الكتاب من الاغراض والاعلام

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

من آثار مهذب هذا الكتاب المطبوعة :

أعلام العراق

وهو كتاب تاريخي أدبي انتقادي

يحتوي على تراجم طائفة من كبار علماء العراق

وآثار أدبائه بأسلوب رشيق

قال فيه العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي أحد أركان النهضة العلمية والادبية في بلاد الشام :

« . افتتح المصنف الكتاب بفصول ضمنها نشأة أسرة الألوسي في بغداد ثم أتى على تراجم بعض نوابغهم ونشر رسومهم ورسوم بعض أبنائهم . وأشهر هؤلاء النوابغ السيد محمود الالوسي صاحب التفسير الكبير المتوفي سنة ١٢٧٠هـ . وهو جد المرحوم محمود شكري الالوسي ، ومن اشهر نوابغهم ايضاً عمه السيد نعمان مؤلف كتاب جلاء العينين في محاكمة الاحمدين المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ . ثم أفاض المصنف في ترجمة استاذه فاستغرقت نحو ثلثي الكتاب . . . وكنا اثناء تصفحنا لهذا الكتاب نعجب لذكاء مؤلفه وحسن تصرفه في الثناء على استاذه وكنا نرى علم استاذه واخلاقه وطريقته في الاصلاح وشدة وطأته على الجامدين : كل ذلك متجسما فيه ضارباً قبابه عليه . فـــا أشبههما بالشيخ ابن تيميه وتلميذه ابن قيم الجوزية فكما كان هذان كوكبي اصلاح في العصور المتوسطة كذلك كان الالوسي وتلميذه الأثري في هذه العصور المتأخرة . وان كان الدهر فجعنا بالاستاذ الشيخ ، فندعو الله ان يمتع المسلمين زمناً طويلا بالتلميذ الذي ما زال في ميعة الشباب ، وغضاضة الاهاب ، وهو مع كونه لم يزل ابن لبون . قد شأى المقرمين ، واستطاع ان يبذ البزل المصاولين . ولم نجد في كل ما كتبه المؤلف أراً لغلواء الشباب ، اللهم الا ثلاث جمل كنا نحب ان يتنزه عنها الكتاب ، كلمة في ص ٣٧ وردت في

وصف أبي الثناء محمود لنساء الاستانة . وكلمة اخرى في ص ٩٩ فيها شتم لرجل قضى نحبه . وكلمة ثالثة في ص ١٣٥ فيها تحقير لرجل شهير لا شبهة في فضله ونبوغه . نعد على صديقنا المؤلف هذا ملقين تبعته على شبابه لا عليه وهو موضع الثقة في أن يحل نقدنا محله ويصغي اليه » .

مجلة المجمع العلمي العربي م ٧ ص ٢٨ الى ٢٨٢

وقال الاستاذ الباحث المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف منشئ مجلة الآثار :

« أطرفنا صديقنا الاستاذ العالم السيد محمد بهجة الأثري البغدادي بكتاب نفيس وضعه في سيرة أستاذه العلامة السيد محمود شكري الالوسي البغدادي المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ عن ٦٩ سنة صرفها في التحرير والتحبير والتدريس . فبحث فيه عن الاسرة الالوسية ومشاهيرها وتراجمهم المزدانة برسومهم وأفاض في ترجمة الاستاذ المتوفى حديثاً ووصف مؤلفاته الكثيرة ثم الحق هذا بالتآبين واقوال الجرائد ، فكان مجموع صفحات الكتاب ٢٠٦ طبع باتقان ورتب بذوق بالمطبعة السلفية المشهورة في القاهرة بهذه السنة وقدمه الى المجمع العلمي العربي بدمشق الذي كان الفقيد من جلة اعضائه المراسلين . فجاء الكتاب طرفة تأريخية أدبية تستمطر الرحمات على العلماء الالوسيين ولا سيما فقيدهم الاخير وتحمل على شكر جامعه جزاه الله خيراً فان آثار أقلامه مستفيضة بيننا » .

مجلة الآثار م ٤ ص ٩٢

وقال الاستاذ العالم العامل الشهير السيد محب الدين الخطيب منشئ الزهراء :

« بيت الالوسي في بغداد بيت علم وشرف ، وقد نبغ منه في المائة السنة الاخيرة عدد غير قليل من العلماء والوجهاء والصلحاء ورجال السيف والقلم . وفي مقدمتهم الشهاب الالوسي صاحب التفسير ، وابوه واخوته وخاتمتهم فقيد العراق وعالمها

وغيرها السيد محمود شكري صاحب المؤلفات والحسنات الكثيرة .

ومن حسناته صديقنا العالم الفاضل ، والاديب الضليع السيد محمد بهجة الأثري كبر تلامذته وحامل امانته . فقد ألف كتابا باسم (أعلام العراق) أتى فيه على تاريخ هذه الاسرة الشريفة وتراجم رجالها واحداً واحداً حتى انتهى الى شيخه السيد محمود شكري فاورد سيرته على وجه التفصيل من سنة ولادته (١٢٧٣ هـ) الى يوم وفاته (٤ شوال ١٣٤٢ هـ) ، وأتبعها بمقالة في احواله وأخلاقه ، وأخرى في مميزاته وعنايته بأمر الدين واللغة والتاريخ ، ثم أتى على ثبت مؤلفاته الاصلاحية والتاريخية والعلمية ، ومجموعها ٥٢ كتاباً . وعقد فصلاً لاسلوبه الكتابي وأتى على امثلة متنوعة من انشائه ، وختم الكتاب بالتآبين التي قيلت فيه بمناسبة وفاته . وهي ثلاثة اقسام : رسائل التعازي ، المقالات ، القصائد .

ان السيد محمد بهجة الأثري قد أحسن بكتابه هذا الى التاريخ بما اذاعه من تراجم هؤلاء الاعلام ، وبيان مكانة بيت جليل من بيوت العلم والشرف في الاسلام . وأحسن به الى وطنه بغداد بما نشره من مآثر جماعة من رجالها ، وقام فيه بما عليه لشيخه من حق الوفاء ، مع الصدق في النقل ، والامانة في التدوين ، والاستطراد الى كثير من الفوائد التي لا يجدها القارئ في كتاب آخر . جزاه الله خيراً » .